صاحبها ومحررها
سلامه موسى
المجلد الخامس



العدد العاشر
من
السنة الرابعة

اكتوبر سنة ١٩٣٥

سير الحوادث

كانت مسألة المسائل هذا الشهر الماضى المأزق الذى وصل اليه الخلاف القائم بين ايطاليا والحبشة. وهذا المأزق ينحصر فى أن ايطاليا ترى نفسها الآن متورطة إذا خالفت عصبة الأمم وأقدمت على الحرب تعرضت للاسطول الانجليزي الذى ربما يضطر إلى الاصطدام مع الاسطول الايطالى إذا وكل اليه تنفيذ الجزاءات التى تفرضها عصبة الأمم على ايطاليا. وربما يؤدى هذا الاصطدام إلى محو الاسطول الايطالى. وإذا تراجعت إيطاليا ورضيت بالتسوية ونزلت على الحكم الذى تحكم به العصبة فانها بعد الصلف العظيم الذي أبداه ساستها تشعر بأن كرامتها قد أهينت. فانها قد أنفقت إلى الآن أكثر من ١٥ مليون جنيه على التعبئة ونقل الجنود إلى أريترية. وسكوتها بعد هذه الاستعدادات يحط من كرامتها أمام العالم أو هى على الأقل، بالمذهب الذي تقول به، مذهب الفاشية، والدعاوى العريضة فى القوة وعدم المبالاة، تشعر بذلك. فهى الآن بين نارين: الخوف من التصادم مع بريطانيا والخوف من التقهقر بعد نفخ الأبواق والقعقعة بالسلاح

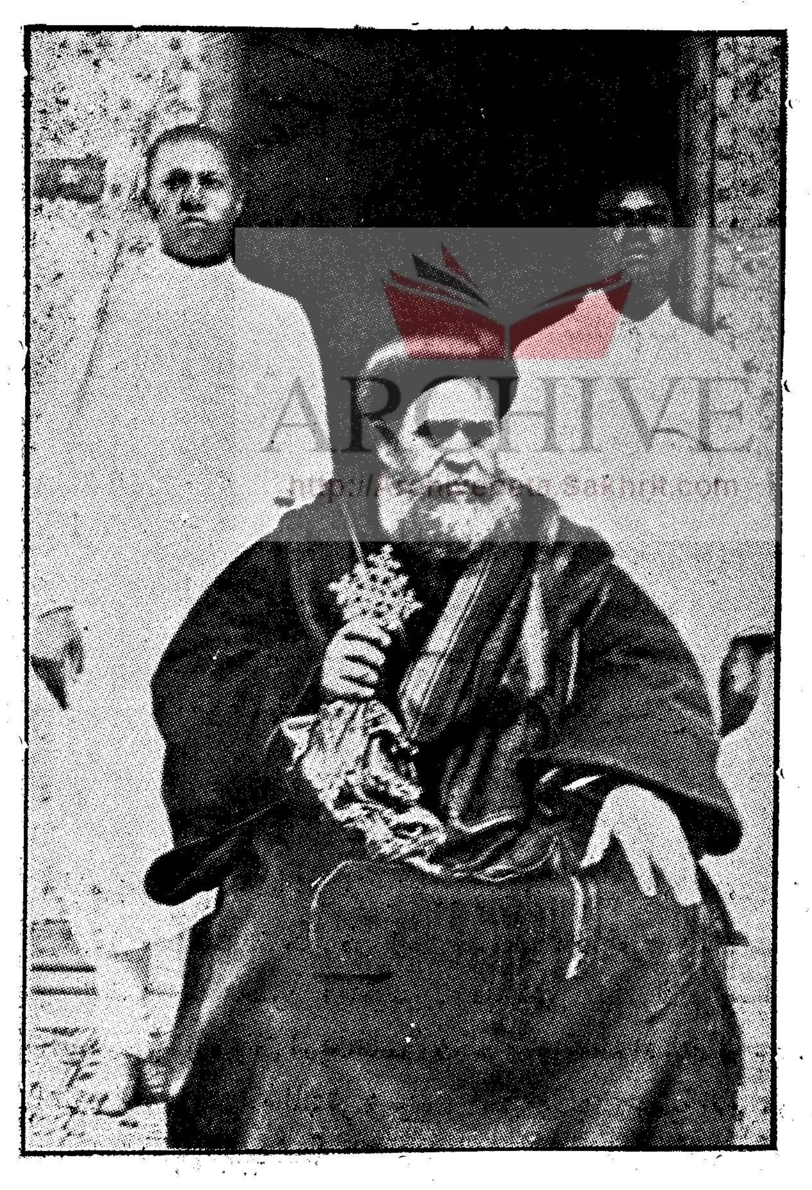
نحن وعصبة الامم

وليس بعيداً على موسولينى أن يغامر بحرب مع بريطانيا يكون ميدانها مصر على نحو مافعل نابليون قبل ١٥٠ سنة تقريباً. فان الرجل قد مضى عليه نحو ١٥ سنة وهو فى « استهواء ذاتى » يوحى إلى نفسه بأنه نابليون أو قيصر. وقد قضى القضاء التام على الرأى العام فى ايطاليا فهو لايباليه. ومهما قيل من أن لبريطانيا مآرب أخرى فى تحطيم الاسطول الايطالى (الجوى والبحرى) فانها تقف فى هذا التصادم المنتظر فى جانب الحق أى جانب عصبة الامم. وستدافع عن بلادنا فلا بد من أن نقف إلى جنبها أيضاً

والفرصة سانحة لان نعقد معاهدة مع بريطانيا . فان جنون الفاشيين الايطاليين قد أبرز لنا قيمة هذه المعاهدة التى تكفل لنا الأمان من هجوم جوى وبرى من ناحية طرابلس (حيث الوالى هو الطيار بالبو) كما تكفل ايضا للانجليز الامن لمواصلاتهم إلى آسيا وأفريقيا

ويمكن أن يقال من الآن ان الموقف الجدي الذى وقفته عصبة الأمم قد بعث أملا عظيما لحياة الامم الصغيرة كما ضمن للحبشة استقلالها

الكنيسة القبطيه فى الحبشة



هالنا أن نقرأ لأحد الكتاب الاوربيين كلمة عن جيش الامبراطور إذ يقول انه يعده لمكافحة العدو الاجنبي الذى يهدد استقلال البلاد كما يعده لشىء آخر هو مكافحة الكنيسة أو القسيسين الذين يبلغ عددهم مليونين فى قطر لايزيد سكانه على عشرة ملايين .

ولزيادة الشرح لهذا الموضوع الذى يبعث فى نفس المصري الأسى نقول أن هؤلاء القسيسين يعيشون عيالا على

باليسار : مطران الحبشة القبطي الانبا كيرلس

الأمة الحبشية ويمثلون الرجعيـة ويعارضون التعليم وحركة التمدن اللذين يقوم بهما الامبراطور بدعوى أنهما تفرنج وكفر . وأن الايمان كل الايمان هو بقاء الحبشة على ما كانت عليه منذ ألفي سنة .

وفى الحبشة عدد كبير من المتعلمين فى المدارس والكليات الاوربية والامريكية وقد قصدوا الى الاقطار النائيـة وكلفوا الحكومة أو آباءهم أموالا طائلة حتى حصلوا على قدر من الثقافة فتح عيونهم على حقائق العصر الحديث وهم يطلبون بسط الحضارة الاوربية على بلادهم ويخدمون الحكومة بالمجان أو بأتفه أجر . فان الشاب الذى تعلم فى باريس أو لندن يرضي بمرتب لا يزيد على ثلاثة أو أربعة جنيهات فى الشهر بل بأقل من ذلك وهو يعرف أن يضحى بمجهوده فى سبيل بلاده . ولكنه ينظر حوله فيجد جيوشاً من القسيسين الذين يتهمونه بالكفر والخيانة والتفرنج لانه يرغب فى بسط الحضارة الحديثة . وقد بلغ من سلطان هؤلاء القسيسين أن جعلوا ولى العهد وهو الابن الاكبر للامبراطور هيلا سلاسى ينضوي اليهم فى آرائهم ويدافع عن الآراء أو العقائد الرجعية . فلما عرف أبوه منه هذه النزعات السيئة خشى على مستقبل البلاد فأبعده فى أقليم ناء عن العاصمة وأصبحت ولاية العهد للابن الثانى الذي يعلم فى قصر كأنه معتقل فيه لا يختلط بالقسيسين خشية أن يعود كأخيه ويكره الحضارة ويتهم دعاتها بالكفر والتفرنج

والمسئول عن هذه الحال هو الكنيسة القبطية التى تشرف على الكنيسة الحبشية والتى تعين لها رئيسها الاكبر وهو مطران أديس ابابا

معاهدة فرساي

نكتب هذه الكلمات والالمان هائجون للهوان الذى ألحقته بهم معاهدة فرساى الذى يمكن أن يقال أنها أسوأ معاهدة فى التاريخ . إذ لا يكاد يمضى شهر حتى يشعر الالمان من هذه المعاهدة بما يهين كرامتهم . ففى هذين اليومين تجرى انتخابات فى ممل وهى ميناء كل سكانها تقريبا ألمان ولكنها ليست فى حكم ألمانيا بل فى حكم دولة لا يعرف اسمها إلا فى كتب الجغرافيا هى دولة لتوانيا . وجميع الجرائد الاوربية تقول أن هذه الانتخابات ليست عادلة أو نزيهة . ومع ذلك يطلب من ألمانيا وهى أكبر دولة فى أوربا أن ترضى بالظلم توقعه بها دولة صغيرة سكانها كلهم أقل من سكان برلين . وهذا ما لا تستطيعه الاقدار نفسها

ثم هذه ايطاليا تطلب المستعمرات وتقول أنها فى حاجة الى المواد الخامة ومع ذلك يتجاهل السامعون لهذا الكلام ان ألمانيا أحوج الى المواد الخامة من ايطاليا وفرنسا وبلجيكا وهولندا وبرتغال . وهذه الدول تكاد تملك ربع الدنيا فى المستعمرات مع أن صناعاتها ليست فى التقدم بحيث تحتاج اليها

وخلاصة القول أن معاهـدة فرساي تحتاج الى تنقيح كبير وإلا اضطرت الأمم القوية التي ظلمت بها أن تلغيها . وهذا هو الذي تهدد به ألمانيا

الخطر من حرب أوربية

إذا أوقعت عصبة الأمم الجزاءات بايطاليا فمن المرجح جداً أن تقوم بريطانيا بالتنفيذ . ثم يكون مرجحا أيضا أن ينقلب هذا التنفيذ الى حرب بين الدولتين . لان تفتيش البواخر والبوارج واقفال



باليسار الملك بطرس الثانى ملك يوغوسلافيا القاصر . وبالوسط أمه .
وباليمين الأمير بولس ابن عم الملك اسكندر المقتول ورئيس مجلس الوصاية

قناة السويس لا يمكن أن ينفذا بلا تصادم يؤدى الى حرب . ويمكن ان تنحصر هذه الحرب بين الدولتين فتكون بلادنا ميدانها

ولكن يمكن أيضا أن تنشب حرب أوربيـة تبدأ أولا بثورة فاشية هتلرية فى النمسا . ثم يغير النمسويون على أقليم تيرول فى شمال ايطاليا. وهو أقليم نمسوى تملكته ايطاليا وفقا لنصوص معاهدة فرساى. فاذا تم هذا اتحدت ألمانيا والنمسا دولة واحدة تلغى جميع النصوص الجائرة فى معاهدة فرساى

وفى الوقت نفسه لن تسكت يوغوسلافيا التى تسارع الى انتهاز الفرصة وامتلاك البانيـا وطرد الايطاليين منها

الهـدية

أهدينا إلى المشتركين كتاب « مصر أصل الحضارة » لمؤلفه سلامه موسى

من أجل السلام

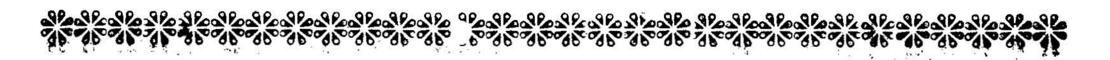
فى باريس اليوم مكتب لمعهد روكفلر الدولى ترؤسه الآنسة مرغريت ولسن التى كانت أمينة لمكتبة عصبة الامم فى باريس ، وغرض هذا المكتب توزيع عدد كبير من الكتب والمؤلفات التى تبحث فى القانون الدولى العام وسياسة الدول على الجامعات فى كل أنحاء العالم بغير مقابل ، بشرط أن توضع هذه الكتب فى مكتبة الجامعة المهدي اليها ليطلع عليها الطلبة . وقد روعي فى تصنيف هذه الاسفار تجنب العبارات والا كاذيب التى تكدر الصفاء الدولى. وقد حضرت الآنسة ولسن منذ سنتين الى القاهرة وعرضت هذه الفكرة على مدير المكتبة الملكية وعميد كلية الآداب بالجامعة المصرية ولكنها وا أسفاه لم تصادف نجاحا . وقد اتصل أحد أساتذة كلية الحقوق منذ بضعة أشهر بمعهد روكفلر بباريس وربما أقر مجلس الكلية قبول هذه الكتب قريبا .

وقد تبرعت الحكومة الفرنسية منذ عهد قريب بمساحة كبيرة من الارض ودعت كل مملكة أجنبية لتبنى على كل قطعة منها دارا على نفقتها لطلبتها الذين يتلقون علومهم فى جامعة باريس . وقد لبت أمريكا وعدد وافر من ممالك أوروبا هذا النداء وشادت منازل فخمة لطلبتها ، وستبلغ نفقات الدار التى أوشكت أمريكا ان تتمها نيفا ومليون ريال . وسيقام فى وسط هذه المساحة منزل كبير يجتمع فيه هؤلاء الطلبة من الامم المختلفة للتعارف والتآلف ، وسيكون هذا المنزل مجهزا بقاعات الاستقبال البديعة وغرف المطالعة وأدوات الالعاب والتسلية

ومن المشاهد العظيمة الحرية بزيارة السائح فى مدينة نيويورك قصر منيف من ناطحات السحاب يصح أن يطلق عليه اسم مدينة لا منزل . ويشرف برجاه الذاهبان فى سماء نيويورك على نهر الهدسون والحدائق الفيحاء التى تزين ضفته . وأول مايرى الزائر عند اقترابه من بابه الذى ينبيء عما فى داخله من عظمة وغنى ومجد ، هذه العبارة منقوشة على واجهته وهى . « يسود الاخاء »

وقد لجأ مروجو فكرة السلام العالمى بوساطة التربية الى فكرة أخرى على جانب عظيم من الاهمية وهى فكرة تبادل الطلبة . ومن قبيل ذلك ماتفعله انجلترا سنويا من ارسال خمسين طالبا من الطلبة الانجليز فى المدارس الثانوية الى فرنسا فى مقابل ارسال خمسين طالبا فرنسيا الى انجلترا وقد صادفت هذه الفكرة نجاحا عظيما فاتبعتها ألمانيا والنمسا وامريكا وشيكوسلوفاكيا وهولندا وكندا .

أمير بقطر



قيمة اللغة فى التفكير

لسلامة موسى

لايمكن التفكير الحسن الدقيق بلا لغة أو ما يقوم مقام اللغة من أشارة باليد أو غير اليد من الاعضاء . ومن هنا يمكن الاخرس أن يعبر بلا الفاظ ولكن مع الاشارة . والواقع أن هناك ما يرجح صحة القول الذى يقول به واطسون وهو « ان التفكير كلام صامت » ونستطيع أن نزيد عليه بان نقول ان « الكلام هو تفكير ناطق »

فنحن حين نفكر نتكلم . والكلام حركة عضلية فى اللسان والحنجرة والمفكر الدقيق هنا هو ذلك القادر على تحريك لسانه بابرع وأمهر مما يستطيعه غيره فكأن التفكير عند واطسون هو حركات بهلوانية فى اللسان . والشاعر الذى يختار ألفاظا ويدخر ثروة كبيرة منها هو أشبه بالبهلوان الذى يمكنه أن يقوم بحركات مختلفة يشق على غيره اداؤها

وعندنا من الحقيقة الواقعة فى نسيان الطفل لايام طفولته ما يرجح صحة هذا القول . فان الطفل تقع به أشياء كثيرة فى السنتين الاوليين من عمره . ولكنه لايذكرها لانه لم يتعلم الكلام وما دام هو يجهل الالفاظ فانه يجهل التفكير . وشبيه به مايقع لنا فى أحلامنا فاننا حين نحلم لا نتكلم أو نتكلم قليلا جدا فلا نذكر من الحلم الا أقله او لا نذكره بتاتا . فالكلمة هى الفكرة . واللغة هى الوسيلة الى التفكير . وبمقدار براعتنا فى اللغة وقدرتنا على التمييز بين الالفاظ ووفرة المدخر منها نبرع فى التفكير ولا يمكننا أن نعين معنى مالم نعين له لفظة تربطه

فالعناية باللغة من حيث التدقيق فى تحديد المعانى للالفاظ ومنع الاضطراب بينها هي تدقيق فى التفكير

والرجل المفكر لايسعه أن يهمل اللغة او لا يبالى العناية بالالفاظ لانه لو فعل ذلك انساح تفكيره وانسابت معانيه بلا ضابط فلا يحسن التفكير

« * »

والتفكير الحسن لهذا السبب لا يستطاع مع اللغة السيئة . فاذا قصد رجل مسيحى أو مسلم

الى أمة متوحشة وأراد أن يبشر بينها بدينه ويعبر عن آداب هـذا الدين بالفاظها فانه مضطر الى ان ينزل عن بعض المعانى السامية التى يعبر عنها فى لغته الاصلية باستعماله لغة هؤلاء المتوحشين الناقصة . لان الفاظهم تحمل من المعانى ما يختلف من المعانى التى تحملها الفاظ المتمدنين . وقصارى مايستطيعه هذا المبشر ان يقترب من المعنى الاصلى وان يشير بالفاظ السحر والوثنية والتعاويذ الى المعاني الدينية مع الجهد الدائم فى الا يساء فهم المباديء السامية التى يبشر بها

وهو مع هذا الجهد قلما ينجح . ومن هنا هذا الفرق العظيم بين المسيحية التى تؤمن بهـا قبيلة زنجية فى افريقيا الوسطى وبين المسيحية التى تؤمن بها طائفة من طوائف البروتستانت فى برلين او لندن . فان الاولى تستعمل الفاظا لها دلالات افريقية تتصل بالغابة والوحوش وجميع الطعام والثأر والسحر والتعاويذ والرقى والاساطير

والثانية تستعمل الفاظا ورثتهـا عن الاغريق والرومان محملة بمعاني ارسطوطاليس وارخميدس وافلاطون

***

ولـكن هذا الذى قلناه يعنى شيئا آخر . وهو أننا حين نتكلم لغة ما ونملك الفاظها وندخر منها ثروة كبيرة نزداد قوة على التفكير . ونزداد تفـكيرنا حسنا ودقة كلما كانت اللغة حسنة الالفاظ دقيقة المعانى

ولـكن هنا شيئا آخر أيضا وهو انه بمقدار ما نملك نحن اللغة ونتسلط على الفاظها تملـكنا الهيئة الاجتماعية التى سكت الفاظ هذه اللغـة وضمنتها المعانى المحددة فيها هذه الهيئه الاجتماعية التى عاشت فى مدي الالف او العشرة الآلاف من السنين الماضية

فاقدرنا سلطانا علي اللغة التى نتكلم او نكتبـها هو ايضا أخضعنا للهيئة الاجتماعية التى سكت هذا الالفاظ لـكي نؤدي افكارها فيها . وبكلمة أخرى نقول ان الذى ينغمس فى الالفاظ ويعرف اسرار المعانى التى ينطوى عليها هو ايضا اكثر الناس انغماسا فى تقاليد الهيئـة الاجتماعية التى نتكلم بلغتها . وقد يكون ذلك من حيث لا يدرى . وكل أديب هو لهذا السبب رجل يحترم التقاليد . وقد يثور على واحد او اثنين منها . ولـكنه فى اللباب رجل تقاليد يحبها فى مجموعها وذلك لأنه لايفكر تفـكيرا بكرا من نفسه بل يؤلف بين تفـكيرات الهيئة الاجتماعية والتفكير هو فى ٩٩٩ فى الالف ينطوى على غاية اجتماعية . ومن هنا قول دوركيم أن السيكلوجية هي جزء من

الاجتماع . وما دمنا نستعمل الالفاظ التي ورثناها فنحن نفكر بالافكار التي تتحملهاهذه الالفاظ

* * *

ومن هنا يمكننا أن نقول أن اللغة كما هي نعمة تزودنا بالالفاظ التي نفكر بها ونعين بها المعاني كذلك هي في الوقت نفسه تقيد عندنا حرية التفكير والاختراع . لاننا مادمنا نفكر بألفاظ لم نخترعها فاننا نفكر بأفكار لم نخترعها نخضع فيها لتقاليد وعادات وأوهام تضرب على أذهاننا ضربا

وكل منا لهذا السبب أيضا مهما ظن نفسه مبتدعا هو مقلد بل رجعي لأنه يفكر بالمعاني التي صبت في قوالب الالفاظ قبل مئات بل آلاف السنين

ولو كان في مقدورنا أن نخترع لكل معنى يرد إلى أذهاننا لفظة توافقه ولا تخرج عن قياسه بل تطابق ابعاده مطابقة تامة لكان لنا الحق في أن تقول أننا نخترع . ولكن هذا غير ممكن . لا بل هو ممكن وضروري حين يكون المطلوب تعيين أداة جديدة في جهاز الراديو أو السينما أو غير ذلك مما لايحتمل شكا في المعنى لأن الشك يؤدي الى الغلط . ومن هنا زادت اللغات الحديثة بضعة ألوف من الالفاظ الجديدة لهذه المخترعات الحديثة . وأما في الادب والاخلاق والفلسفة فلم تزدد اللغات جزءا من الف جزء من الزيادة التي تحققت لها في هذه المخترعات .

فلماذا ازدادت الفاظ العلوم ولم تزدد الفاظ الاخلاق والادب والفلسفة ؟

والجواب هو ماذكرنا من أن المخترعات العلمية تحتاج الى دقة كبيرة في تعيين الالفاظ حتى لايتسرب اليها الشك . ولذلك لايمكن أن نأخذ لفظا قديما ونكسبه معنى جديدا ثم ان العلوم تختلف من الاخلاق والادب والفلسفة بأنها لاتلتفت للعرف ولا تبالي التقاليد . فان جاليل يجرؤ على شتم أرسطوطاليس كله ويكذبه . ولكن من هو الاديب الذي يجرؤ على الاستخفاف بالادباء القدماء أو بالاخلاق القديمة أو بالفلسفة القديمة ؟ ولكن هذا استطراد خطر وخيم العواقب

* * *

ولكن ألا ترى في دقة الالفاظ التي تستعمل في العلوم والجراءة على ايجادها مايجعلنا نتساءل : لماذا لاتكون الفاظ اللغة كلها دقيقة المعنى غير مضطربة ولا متشابهة ولا متشاكلة حتى يستقيم التفكير في دقة علمية ولو كان الموضوع يتعلق بالادب أو الاخلاق أو الفلسفة

ان العالم الذي يشتغل بالكيمياء أو الطبيعيات أو الفلك أو الفسيولوجية أو السيكلوجية

لايمكنه أن يرضى بلفظتين مترادفتين أو متقاربتين فى المعنى بحيث يشكل عليه التمييز بين معنيهما . وهو يسارع الي ابعاد واحدة منهما حتى يبقى تفكيره ناصعا معين الحدود

وقد يقال هنا أن المعانى فى الفلسفة والادب والاخلاق تتشابه وتتقارب فيجب أن يكون لها الفاظ تؤدى هذه المشابهة أو التقارب . وهذا صحيح . ولكن يجب ألا نجعل هذا عذرا للفوضى فى الالفاظ فتركم اللغة بالمترادفات والمتشابهات التى تخلط المعانى وترتبك التفكير

وعندي أن الدقة العلمية فى الالفاظ يجب أن تكون غاية فى الادب والاخلاق والفلسفه . فنحن مثلا نقول : تكلم وفاه ونطق ولفظ وقال لمعنى واحد أو لجمله معان متقاربة كأنها المعنى الواحد . وبكلمة أخرى نقول أن هذه الالفاظ الخمسة لاتبعث فى أذهاننا غير فكرة واحدة فلماذا لاتكون لفظا واحدا

قد يبدو هذا الذي نقوله مضحكا ولكنه لم يبد كذلك فى نظر الاستاذ أوجدن الانجليزى . فانه نظر الى اللغة الانجليزية فوجد بها نحو ربع مليون كلمة فتساءل هل هى تؤدى لنا ربع مليون فكرة ؟

وأجاب على هذا السؤال بعد البحث والاستقصاء أنها لاتؤدى هذا الواجب فقال أنه يجب اختصار الكلمات حتى تفى بالافكار ولا تزيد لان كل زيادة مجهود ضائع وحفش زائد فى البيت يجب التخلص منه بأسرع مايمكن . ثم عمد الى نحو ٨٥٠ لفظة اختارها من اللغة لانها أولى من غيرها وأخدم لمستعملها فقال انها تكفى الانجليز للتعبير عن كل مايرغبون فى التفكير فيه

هل خطر ببال أحد هذه الحقيقة الكبيرة وهى أن الارقام خمسة وستة وسبعة ليس لها مترادف أو متشابه أو متقارب ؟ وانها لهذا السبب دقيقة لاتحتمل الغلط والشك

فلماذا لاتكون ألفاظ اللغة كأرقام الحساب ؟ نعم لماذا ؟ هذا هو سؤال الاستاذ أوجدن الذى أجاب عليه باختيار ٨٥٠ كلمة انجليزية وترك سائر الالفاظ

* * *

ولست أقول هذا اعتقادا بأن فى مصر من يجرؤ على اقتراح كالذى اقترحه الاستاذ أوجدن وشرع فى تنفيذه . فاننا قد نشأنا على أن نقول أننا أمة شرقية . والامم الشرقية جميعها تحب التقاليد . واللغة اس التقاليد فيجب ألا يصيبها زيادة أو نقص أو تحريف

ولكن يجب ألا ننسى أن التفكير الدقيق يقتضى الفاظا دقيقة كأنها أرقام الحساب بحيث لاتحتمل اللفظة مترادفا ولا متشابها أو متقاربا أو تحتمل ذلك فى قله وندرة لاتجيز الخلل الى التعبير

أصل الحجاب

بحث انتربولوجى

كثيراً مايسألنى بعض الشبان عن كتاب سهل يبسط علما جديدا من هذه العلوم التى يتدارسها الاوربيون وليس لها فى لغتنا اسم مثل السيكلوجية أو الانتربولوجية أو اليوجنية . وأرانى مضطرا لان أنصح لهم بألا يقرأوا كتابا ابتدائيا فى هذه العلوم وانما عليهم أن يدرسوا جزءا من كل أى فرعا من أصل . لان هـذه العلوم لاتزال غير مؤصلة . فاذا وضع أحدهم كتابا كاملا عن أحدها عمد إلى التلخيص المخل وتجاوز كثيرا مما لايزال مجهولا فلا يتناسق الكتاب

ولكن إذا درس فرعا من فروع العلم أتاحت الفرص لمؤلف أن يبحثه فى توسع أمكنه أن يكون بصيرا فيه يعرف مرماه ويقدر مجاهله . ومن هنا الفائدة التى تعود على القارىء من كتاب صغير لفرويد فى الاحلام مثلا . فانه ينتفع به أكثر مما لو قرأ كتابا ابتدائياً فى السيكلوجية . وهو كذلك ينتفع من قراءة كتاب مسهب فى فرع من الانتربولوجية مثل الزواج عند المتوحشين أكثر مما ينتفع بقراءة خلاصة عن هذا العلم تتناول الزواج والملوكية والدين والصيد وما الى ذلك

وذلك كما قلت لان هذه العلوم لاتزال فى طور التكون . وبعض فروعها أو أجزائها قد أتاحت الفرصة أن تتوسع فيها دون بعضها الآخر . فعلينا فيها بالفروع دون الأصول أو نترك الأصول حتى نهضم مقداراً كبيراً من هذه الفروع

وقد قرأت فى الاسبوع الماضى كتابا يدعى « الرجال ضد النساء » لمؤلفه ايسترمان . وهو مؤلف معروف عند بعض القراء لانه قام على تحرير كتاب كرولى « الوردة الخفية » أو « الوردة الصوفية »

وهذا الكتاب الأخير يشير باسمه إلى غشاء البكارة وكيف تفض عند القبائل البدائية والمتوحشة والامم القديمة والحديثة . وما يلحق ذلك من عادات زوجية أو عرسية . وهو لايقل عن ٥٠٠ صفحة . وقد انتفع ايسترمان به واستنار منه فى كتابه هذا « الرجال ضد النساء »

وخلاصة هذا الكتاب أن تاريخ الشعوب يدل على أن الرجال يخشون النساء ويتوقونهن وقد فرضوا من العادات والاخلاق مايجعل المرأة بعيدة عن الرجل حتى لاتؤذيه . والمؤلف يجمع المعارف فيعرض العادات عند الشعوب البدائية ثم المتوحشة ثم الشرقية ثم يعقد فصلا للاغريق القدماء ثم يصف موقف الكنيسة من المرأة وبعد ذلك يصف عادات الزواج فى انجلترا مما يتفق والغاية التى ينشدها من هذا العرض للعادات القديمة وأخيراً يستنتج استنتاجاته أو استنتاجه الوحيد

وهذا الاستنتاج هو أن الرجل على الدوام ينفصل من المرأة ويخشى اختلاطه بها . فكان ينام وحده . ويقسم البيت قسما له وقسما لزوجه أو زوجاته . فاذا أكل لم تشترك معه المرأة . وكان على

النساء أن يجتنبن محلة الرجال وخاصة إذا كانوا يتهيأون للصيد أو للحفلات الدينية . بل بعض القبائل المتوحشة كان يعدم المرأة إذا اختلطت بالرجال وهم فى مثل هذه الحفلات . وهذا الانفصال الذي عم جميع الأمم القديمة والشعوب والقبائل الشرقية والغربية لاتزال آثاره باقية عندنا . كما هو واضح مثلا من اجتنابنا الدخول على النفساء . ونحن نفسر هذا الاجتناب بتفسيرات مختلفة ولكن الحقيقة أن النفساء تمثل فى نظرنا القديم المرأة فى أشد حالات الانوثة . فهى لهذا السبب طبوا أى يحرم علينا رؤيتها أو الاختلاط بها وهذا الانفصال لم يخل منه قطر أو عصر . وهو يزداد قوة أيام الظلام كما حدث فى القرون المظلمة حين كانت المرأة « شيطاناً » وحين تفشت الرهبانية وأصبحت الطهارة تعنى الابتعاد عن المرأة أى مقاطعتها . وكأنها انسان نجس يجب الا يعرفه الرجل أو يقترب منه أو يراه أو يلامسه أو يعاشره . بل لقد دعا بعض رجال الدين إلى إيثار العزوبة على الزواج

والآن ماهو الأصل لهذا الانفصال بين الجنسين أو لهذه المقاطعة بينهما ؟

يقول ايسترمان بعد أن يورد الشواهد المتعددة على صحة استنتاجه أن الرجل كان يخشى المرأة ويبتعد عنها وينفصل منها لاعتقاده بسحر العدوى . فان هناك نوعا من السحر مارسه أسلافنا قبل آلاف السنين ولا تزال القبائل المتوحشة تمارسه وهو يقوم على أن صفات الشخص تنتقل إلى مايلامسه من الأشياء . فاذا أرادوا أن ينتقموا من أحد الناس نزعوا قطعة من ملابسه أو من أدواته التى يستعملها فى الصيد أو الطعام ثم أحرقوها بالنار اعتقاداً بأن ماحدث لها سيحدث أيضا لصاحبها . وهذا السحر تعرفه عامتنا فى الرقية .

وكان الرجل يعتقد أن المرأة ضعيفة فى القوة الجسمية وهى أعظم ما كان يحتاج اليه فى حياته . لانه كان يجالد الوحوش ويصيدها ويهاجمها ويفر منها . فكان للقوة الجسمية شأن عظيم عنده وكان يخشى أن يضعف إذا لامسته المرأة أو آكلته أو حتى إذا رأت بعينها أدوات صيده . فلهذا السبب كان على الرغم من حاجته الملحة اليها فى أوقات معينة ينفر منها ويعيش فى مكان منفصل من المكان الذى تعيش فيه . لئلا تنتقل عدوى الضعف منها اليه فيعجز عن الصيد

هذا هو الأصل فى انفصال الرجل من المرأة . وهو يبلغ أقصاه ويتخذ مسحة سامية من الاخلاق والدين فى الرهبانية التى تعد مقاطعة كاملة للنساء

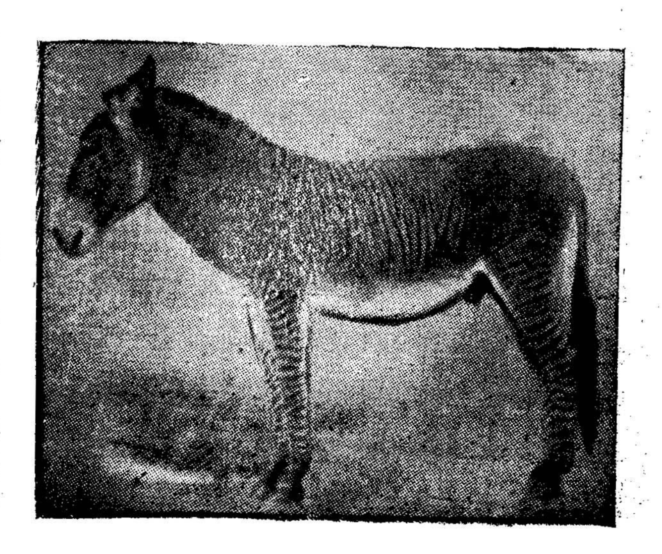
* * *

والآن لابد أن القارىء قد استنتج النتيجة التى قصدنا اليها من العنوان وهو أن الحجاب الحاضر الذي يضرب على المرأة فى مصر والهند والصين يرجع إلى هذا الاعتقاد القديم وهو أن الرجل يجب أن يبتعد عنها لئلا تنتقل اليه منها عدوي الضعف . فهو لذلك لايؤاكلها ولا يجالسها ويجب أن يكون لها فى المنزل « حرم » بعيد عنه . وقد عرفت أوربا الحجاب أيام الاغريق والرومان . ولكنها للرقى المطرد فيها أقلعت عنه . أما نحن الشرقيين فقد ركدنا وبقيت لهذا السبب عادات أسلافنا الاقدمين البدائيين حية فى مجتمعنا

الزرد حمار الحبشة العجيب



الصورة العليا هى صورة الزرد أى الحمار الحبشى الذى يعيش بريا لم يستأنس. وللزرد هيئة الحمار ولكن مع حماسة الفرس . وهو يتلافح مع كليهما . وترى تحت صورة حمار خلاسى أبوه زرد حبشى وأمه حمارة صومالية لا تختلف من



حميرنا المصرية . وقد ظهرت عليه بعض الخطوط ولكن سحنة الحمار أبين فيه مما هى فى الزرد

وقد جربت تجارب مختلفة لاستئناس الزرد فلم تفلح . وهو يعيش فى الرباوات فى الحبشة والصومال وهو سريع العدو ولكن الاسد يفترسه بالكمون له والوثوب عليه عند المشارع . وهو اذا أخطأه فى الوثوب كف عنه لانه لا يدركه فى العدو

الحبشة كما رآها صحفى

خلاصة كتاب للصحفى لادسلاس فاراجو

لادسلاس فاراجو صحفى مجرى ولد سنة ١٩٠٦ فلما بلغ العشرين قصد الي برلين حيث احترف الصحافة . وقد زار فى مهمات صحفية مختلفة الولايات المتحدة وتركيا وبعض أقطار الشرق الادنى وقبل أربعة أشهر طلب اليه ان يقصد الي الحبشة فى خدمة احدى شركات الاخبار التلغرافية . فسافر ونزل فى فندق فى أديس أبابا وجال فى بعض الاقاليم وحادث الامبراطور ورجاله البارزين كما حادث الايطاليين وبقى بالحبشة ثلاثة أشهر جمع فيها من أخبار البلاد ووصف أحوالها مايستحق ان ينشر فى كتاب . وقد قرأنا هذا الكتاب ورأينا أن ننقل احسن مافيه للقراء وخاصة ماتضمنه من الصور الفريدة



كشاف حبشي فى مدرسة ابتدائية

أشار المؤلف فى الفصل الاول الى الاوهام الغريبة التى يتوهمها الاوربيون عن الحبشة . فقد نصح له وهو

فى برلين أن يتوقى الناموس وقيل له ان الجذام منتشر حتى اضطر ان يشتري أشياء كثيرة للاحتياط لم يجد لها بعد ذلك أى فائدة . اذ ليس فى اديس ابابا جذام او ناموس

وأول بلدة ينزل فيها المسافر الى الحبشة هى ميناء جيبوتي التى تديرها فرنسا وجوها حارخانق والناس يستيقظون مبكرين فيعملون الى الساعة التاسعة ثم ينكفئون الى بيوتهم فيبقون الى الساعة السابعة من المساء حين يخرجون ثانية فتعمر بهم القهوات والميادين والمكاتب . وسكان جيبوتى مسلمون. وقدحاول المؤلف ان يصورهم فوجد ممانعة من النساء وهو يقول انهن يخشين العقم اذا نقلت صورهن



جمال المرأة الحبشية زوجة الرسام انجيذا

والشقه بين جيبوتى واديس أبابا يقطعها القطار فى جملة أيام لانه من جهة بطىء ومن جهة أخرى لا يسير بالليل خوفا من الأسود التى تغير على المسافرين والمسافر يرى جماعات البابون من القردة وكذلك ترى الغزلان على جانبي الطريق. والشركة التى تملك هذا الطريق فرنسية وقد أهدى المسيو لافال السنيور موسوليني ثلاثة آلاف سهم فيها على سبيل التحية للاستعمار الايطالى

فى الحبشة. والاجور عالية جدا فان أجرة المسافر بين جيبوتى وبين أديس أبابا ١٦ جنيها مع أن هذه المسافة لاتتكلف فى انجلترا غير جنيهين وأجرة النقل للطن من البضاعة ٤٣ جنيها مع أنها فى انجلترا لاتزيد على أربعه جنيهات. وأحيانا تهب ريح سموم على القطار كالهبوب فى السودان فيقف وتغلق النوافذ ويبقى القطار فى مكانه الي أن ينجاب الغبار

وأديس أبابا عالية ترتفع على سطح البحر بمقدار ٨٠٠٠ قدم. ولذلك لايمكن الانسان أن يجهد نفسه لأنه يسرع الى التهيج واللهث. ورقة الهواء تجعل اصابات القلب كثيرة. ولكن المناخ معتدل بل بارد وجمهور السكان يلبس الملابس الاوربية. وليس ما يذكر الاوربى النازل فى العاصمة بانه فى افريقيا غير «قبعة الشمس» البيضاء التى يستظل بها. والأمراض السائدة هناك مرضان هما الرعن أى ضربة الشمس والنزلات الصدرية

وسكان أديس ابابا يبلغون نحو ١٣٠٠٠٠ ولكنهم



الامبراطورة ما نن تتحدث الي احد الموظفين الاجانب فى قصرها

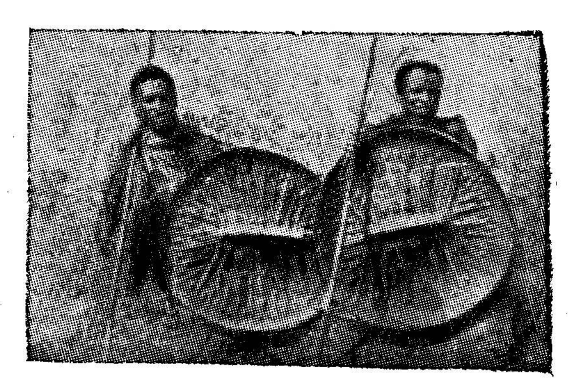
يسكنون رقعة من الارض لا تقل عن الرقعة التى يسكنها سكان باريس . وذلك لان المنازل بدائية تحتوى طبقة واحدة ومتفرقة . والانتقال يكاف كثيرا وخاصة إذا اتخذ الاتومبيل فان ثمن الجالون



السيدة كاياده (باليمين) زوجة القائد الحبشى الجنرال كاياده وهى سيدة حبشية وقد طلبت من الامبراطور هيلا سلاسي أن يأذن لها بتأليف فرقة من النساء الحبشيات لمقاتلة العدو . وهي من أسرة حبشية عريقة وكان جدها الوصى على العرش مدة مرض الملك منليك

من البنزين نحو ٢٥ قرشا أى جنيه للصفيحة.

وفى العاصمة نحو ٥٠٠٠ أجنبى معظمهم من الارمن واليونان . ولكن السفارة الانجليزية هى أكثر السفارات حركة وعملا . ومنازل الاوربيين ساذجة قليلة التكاليف لان القانون الحبشى يحرم عليهم امتلاك الارض ولذلك لا ينفقون على بنائها كثيرا خوفا من أن ينزعها



جنديان حبشيان من الطراز القديم بارمح والترس المصنوع من جلد الكركدن

الملك منهم . والتقويم السائد هو التقويم القبطي الشهر ٣٠ يوما وتضاف على السنة ٥ أو ٦ أيام وجميع السكان فى الريف مصابون بالدودة الوحيدة — الشريط — لانهم يأكلون اللحم نيئا . ودواء هذه الدودة يرسل بالاطنان الي الحبشة

ومورد الحكومة الوحيد هو المكوس الجمركية على الواردات . والبضائع اليابانية تملأ البلاد وهي رخيصة والاقبال عليها كبير .

وعند مايحدث خلاف فى الشارع بين اثنين يقصد الشاكى الى رجل البوليس الذى يغدو قاضيا بعد أن يأخذ منه ٨ غرش أى ثلاثة قروش مصرية ثم يحكم بينهما . والمحاكمة سريعة فى الحبشة قليلة الاجراءات . والامبراطور نفسه هو الذى يرأس المحكمة العليا ولكن فى غيابه ينوب عنه أحد رجال الدولة . واللص يكوى بالنار أى يوسم بعلامة ظاهرة . والقاتل يعدم وشاهد الزور يحكم عليه بالسجن والنصاب يجلد . وكانت الدية مألوفة فى عصر منليك يؤديها القاتل فينجو من القتل ولكنها الغيت .



الراس ناصيبو والي هرر

وللأسلحة شارع خاص تصنع فيه وتباع . والاحباش ينظرون بعين الاحتقار والكراهة لمن يعملون فيها لانهم يعتقدون أنها شر من عمل الشيطان . والسكان شعوب مختلفة يسودها شعب الامهرة . والامهري ذكى شجاع له ملامح وتقاسيم حسنة . وهم حين يصفون أنفسهم يقولون « نحن حمر أما الآخرون فسود » ويبلغ مجموع السكان عشرة ملايين منهم نحو مليونين ونصف مليون من الامهريين . ويأتي بعد ذلك شعب الجالا وهم يبلغون نحو أربعة ملايين وفيهم من أمارات الانحطاط مايقرر السيادة للامهريين عليهم . ونساؤهم فى

غاية الجمال . وقد تزاوجوا مع الامهريين وهناك شعب يسمى التيجرة يعيش فى اقليم يسمى بهذا الاسم . ثم هنالك الدناكيل والصومال . والصناع فى الحبشة هم الجوراجيس ويقال انهم من



دائن ومدينه قد ربطا بالسلسلة سيبقيان كذلك الى ان يؤدى المدين دينه او ينزل عنه الدائن

سلالة مصرية قديمة وهم الذين يقومون بمختلف الصناعات سواء أكانت زراعية أو مدنية . ويقال أن ملوك الحبشة جاءوا بهم من مصر قبل ٣٠٠٠ سنة



القائد الراهب بالطفة

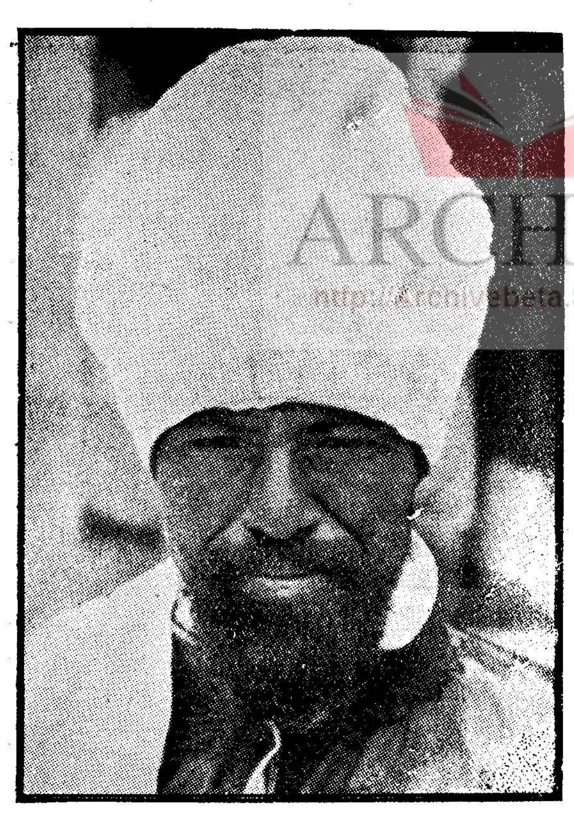
وفى الحبشة نحو مليوني قسيس هم أعداء التقدم والتفرنج يطلبون بقاء الحبشة على ماهي عليه . وللامبراطور هيلا سلاسى ٣٠٠٠٠ جندى يمدهم للاجانب الذين يخشى هجومهم على بلاده ولهؤلاء القسوس الذين يخشى ثورتهم عليه لانه يدعو الى التفرنج . وقد استطاعوا أن يخدعوا ولى العهد ويجعلوه فى صفهم كارها للحضارة الحديثة حتى أقصاه الامبراطور الى مكان ناء ووجه التفاته الى أخيه الذى يليه فى العمر

ولم يكن الامبراطور الحاضر يطمع فى العرش ولكن الظروف مهدت له السبيل لارتقائه . ففى سنة ١٩١١ مات الامبراطور منليك وكان محبوبا جدا فبقى خبر وفاته مخفى عن الشعب حتى كان الوزراء يجيئون برجل طاعن فى السن ويقعدونه فى شرفة القصر لكى يراه الشعب ويطمئن عليه ولكن بعد ثلاث سنوات اضطر الوزراء الى اذاعة الوفاة لان الجمهور صار يهمس بوفاته . وارتقى ابنه ليج ياسو، وجاءت الحرب الكبرى فترجح ليج ياسو بين الانضمام الى الحلفاء أو الى دولتى الوسط وأخيرا اتضح أنه يميل للالمان وهنا ظهر العبقري الانجليزى ... رنس الذى مات قبل أشهر . فانه كان ... عرف ان ليج ياسو يختلط بالعرب ويحب الملابس العربية فصوره وهو فى هذه الملابس ... ن العرب ثم أخذ الصورة الى الخرطوم حيث طبع منها مئات الالوف ووزعها بين الاحباش زاعما أن الامبراطور قد أسلم . شعر ليج ياسو بهبوب الثورة ففر من ... يس أبابا الى هرر يريد أن يؤلف جيشا ... لكنه أسر وقيد فى سلسلة من الذهب واعتقل ولا يزال للآن فى معتقله . وأصبح الرأس تفري ... ن الرأس ماكونن وصيا للامبراطورة زوديتى . فلما ماتت صار ملكا . ثم امبراطورا سنة ١٩٣٠



زعيم امهرى فى ملابس خاصة بالاحتفالات

وقد عانى الامبراطور مدة حكمه القصير ثورات مختلفة ولكنه انتصر فيها جميعها . وكان من أهمها ثورة القائد بالطشة فان هذا الرجل قد حارب فى عدوه وله شهرة كبيرة فى البسالة . ومنذ سنوات هجم على أديس أبابا ومعه ٢٠٠٠ من الجنود يطلب عزل الامبراطور . ولكن دهاء الامبراطور غلبه . فانه دعاه الى القصر فقبل ولكن بشرط أن يرافقه ضباطه . فلم يرفض الامبراطور ذلك . فلما كان هو وضباطه بالقصر أرسل الامبراطور الى الجنود من رشاهم وخوفهم فرجعوا الي بلادهم ثم القى القبض على بالطشة وضباطه وحوكموا فحكم عليهم بالسجن . وبعد سنتين طلب بالطشة العفو لكى يقضى سائر أيامه راهبا فى الدير . وعفا عنه الامبراطور ورحل بالطشة الي أحد الديور حيث اتخذ له صومعة . فلما راجت اشاعات الحرب هذا العام طلب من الامبراطور أن يقبله جنديا بالجيش لقتال الايطاليين ولكن الامبراطور رفض هذا الطلب وشكر له ولاءه وقال له ان الحرب هذه الايام تختلف عما كانت أيام عدوه وليس للبساله قيمة كبيرة فيها



ابو هنان اسقف هرر

ويشرع الامبراطور في عمله من الساعه الرابعة من الصباح وكثيرا ما تعين الساعة السادسة من الصباح لمقابلة رسمية . والامبراطور هو ابن الرأس ماكونن وقد قضى صباه فى هرر حين كان أبوه واليا عليها . وهو الآن فوق الاربعين تبدو عليه الهموم التى زادت ثقلا بالقلق من الحرب المنتظرة ، وفى وجهه سماحة وفى عينه ذكاء وهو البرهان على ان السلالة الامهرية خالصة الدم من الزنوج إذ ليس له تقاسيمهم . وهو يخالف الاحباش من حيث اقتصاره على زوجة واحده هي الامبراطورة مانن وهي قريبة الامبراطور منليك وعمرها نحو ٣٥ سنه . وابنهما الاكبر اصفو واصن

قد أبعده أبوه لميوله الرجعية والخوف من أن يقوم مع القسيسين بثورة عليه لكراهة هؤلاء للحضارة الحديثة . والكنيسة الحبشية مظلمة رجعية . ويوجه الامبراطور عنايته لابنه الثانى الامير ما كونن وعمره ١٤ سنه لكى يكون خليفته على العرش الحبشي



أبناء العبيد يتعلمون بعد الغاء الرق

وفى الحبشة عدد غير صغير من الشبان الذين تعلموا فى اوربا . ومنهم الرسام انجيدا الذى ينزع نحو التأثريين أو الانفعاليين فى فرنسا . ويري القارىء هنا رسمه لزوجته وهي حبشية أمهرية

والامبراطور غني يكنز الذهب ويقرض الحكومة بالربا وهو شريك نائم فى بعض المتاجر فى اديس ابابا

والحكومة الحبشية جادة في مكافحة الرق وقد حدث أن قبض على شاب ايطالي اشترى عبيدا وجاء بهم الى اديس ابابا واتضح أن الغاية التى قصد اليها هى اذاعة فضيحة عن الحكومة الحبشية فى الظروف الحاضرة

الكميت بن زيد الاسدى

الدكتور زكي مبارك

مولده وطفولته — بدايته الشعرية — اهتمام الرواة والنقاد بشعره — أخوانياته ووفاؤه — أهاجيه ومعرفته بالانساب والاشعار وأحوال الجاهلية — حبه لاهل البيت — أعتذاره عن مدح بنى أمية

١ — ولد الكميت بن زيد بالكوفة سنة ستين للهجرة . وبعض من ترجموا له لايعينون سنة مولده ، وانما يقولون . ولد أيام مقتل الحسين ، وعند تأمل أساليب العرب فى تقييد المواليد نجد لهم ملحظا ظريفا فى ذلك ، فهم يقولون ان عمر بن أبى ربيعة ولد فى الليلة التى مات فيها عمر بن الخطاب ، ليصح لهم أن يعقبوا بهذه النكتة فيقولوا : فأى خير رفع ، وأى شر وضع ! لان عمر الذى مات كان مثال الوقار ، أما الذى ولد فكان مثال الطيش . وكذلك قالوا أن الكميت ولد فى أيام مقتل الحسين ليشيروا الي أنه جاء الى الدنيا فى أيام الاحزان العلوية . وأنه بقصائده الهاشميات سيشفى الاحزان التى أحدقت بالعالم الاسلامي يوم جاء الي الوجود

٢ — مرت طفولة الكميت بين النباهة والخمول ، فلم يعرف عنها شيء ذو بال ، ولعل أول مالفت النظر الى ذكائه ماوقع له من الفرزدق ، فقد حدثوا أنه وقف وهو صبى على الفرزدق وهو ينشد أشعاره ، فراع الفرزدق حسن استماع الكميت ، وأخذه الزهو والخيلاء فلما فرغ من أنشاده أقبل على الصبى وقال : هل أعجبك شعرى يابنى ؟ فأجاب الكميت : لقد طربت لشعرك طربا لم أشعر بمثله من قبل ! فانتشى الفرزدق وأخذ العجب منه كل مأخذ ، وقال للصبى فى نشوة المفتون . أيسرك أنى أبوك ؟ ! فقال الكميت : أما أبى فلا أريد به بدلا ، ولكن يسرنى أن تكون أمى !! فحصر الفرزدق وقال : ما مر بى مثلها . وهذه النادرة مع شاعر فى منزلة الفرزدق كانت كفيلة بأن تجعل لذلك الطفل شهرة بين الناس

٣ — ويأبى الرواة إلا ان يجعلوا الكميت من الاعاجيب ، فهم لايريدون أن يجعلوه شاعرا كسائر الشعراء ، يبدأ بداية عادية ، ثم يتسامي فيسمو الى منازل الشعر الرفيع ، وانما يزعمون أنه نبغ دفعة واحدة ، ويذكرون أن عمه كان رئيس قومه ، وأنه قال يوما : يا كميت ! لم لاتقول الشعر ؟

ثم أخذه فأدخله الماء ، وقال : لا أخرجك منه أو تقول الشعر ! فمرت به قنبرة فأنشد متمثلا

يالك من قنبرة بمعمر
خلا لك الجو فبيضى واصفرى
ونقرى ما شئت أن تنقرى

فقال له عمه ورحمه : قد قلت شعرا فاخرج ! فقال الكميت . لا أخرج أو أقول لنفسى ! فما رام حتى عمل قصيدته المشهورة ، وهى أول شعره ، ثم غدا على عمه فقال . اجمع لى العشيرة ليسمعوا ، فجمعهم له فأنشد

طربت وما شوقا الى البيض أطرب ولا لعبا منى وذو الشوق يلعب

وسنري أنه ليس بمعقول أن تكون هذه القصيدة أول شعره ، لأن فيها من القوة مايقطع بأنها ليست بداية شعرية ! وانما هي صرخة شاعر فحل طال منه الصيال

٤ — نترك طفولة الكميت وصباه ، ونذكر ان شاعريته ملأت الدنيا ضجيجا ، وأصبح فى فى عصره وبعد عصر مضرب الامثال . فقد عرض بديع الزمان الهمذاني لاسمه فى رسالة الذهب والادب فقال

« واحتيج فى البيت ، الى شىء من الزيت ، فأنشدت الفا ومائتى بيت ، من شعر الكميت ، فلم يغن » وعنى ابن الاعرابي بدرسه ، وكان ابن الاعرابي لايشغل نفسه إلا بالشعراء الفحول الذين يعرفون الانساب ، أو يمتون بعرق من الاساليب الجاهلية ، وكان الجاهليون عندهم أئمة البيان

ولم يعن ابن الاعرابى بدرس شعر الكميت ، بل كان يسأل عن شعره حين يغفل عنه من يعرضون عليه ماعرفوا من معانى الشعراء .

وقد شهد له الفرزدق بقوة الشاعرية ، فانه لما قدم الكوفة أسرع اليه الكميت فقال له . انى قد قلت شيئا فاسمعه منى يا أبا نواس . قال هاته . فأنشده قوله فى أهل البيت

طربت وما شوقا الى البيض أطرب ولا لعبا منى وذو الشوق يلعب
ولم تلهنى دار ولا رسم منزل ولم يتطربنى بنان مخضب
ولا السانحات البارحات عشية أمر سليم القرن أم مر أعضب
ولكن الى أهل الفضائل والنهى وخير بنى حواء والخير يطلب
الى النفر البيض الذين بحبهم الي الله فيما نالني أتقرب
بنى هاشم رهط النبي فاننى بهم ولهم أرضى مرارا وأغضب

خفضت لهم مني جناحي مودة الى كنف عطفاه أهل ومرحب
وكنت لهم من هؤلاء وهؤلا محبا على أني أذم وأغضب
وأرمي وأرمى بالعداوة أهلها واني لأوذى فيهمو وأؤنب

فقال له الفرزدق . قد طربت الى شيء ماطرب اليه أحد قبلك . فاما نحن فلا نطرب ، ولا طرب من كان قبلنا إلا ما تركت أنت الطرب اليه ! ثم قال له . يا ابن أخي ! أذع ، ثم أذع فأنت والله أشعر من مضى ، وأشعر من بقي !

وشهادة الفرزوق لها قيمة ، فقد كان في المتقدمين من يرى الشعراء أصحاب الحق الاول في نقد الشعر لانهم أعرف بعيون الكلام . وأبصر بالمآزق التي يتعرض لها الشعراء

وبلغ من شاعرية الكميت أن صارت ديباجته عنوانا عليه يعرفه بها الرواة ، وان لم يقرن اسمه الي شعره ، فقد حدثوا أن هشاما اتهم خالد بن عبد الله ، وكان يقال له (أنه يريد خلعك) فوجد بباب هشام يوما رقعة فيها شعر ، فدخل بها على هشام فقرئت عليه ، وهي

تألق برق عندنا وتقابلت أثاف لقدر الحرب أخشى اقتبالها
فدونك قدر الحرب وهي مقرة لكفيك واجعل دون قدر جعالها
ولن تنتهي أو يبلغ الامر حده فنلها برسل قبل أن لا تنالها
فتجشم منها ما جشمت من التي بسوراء هرت نحو حالك حالها
تلاف أمور الناس قبل تفاقم بعقدة حزم لا تخاف انحلالها
فما أبرم الاقوام يوما لحيلة من الامر إلا قلدوك احتيالها
وقد تخبر الحرب العوان بسرها وان لم تبح من لا يريد سؤالها

فأمر هشام أن يجمع له من بحضرته من الرواة ، فجمعوا ، فأمر بالابيات فقرئت عليهم . فقال. شعر من تشبه هذه الابيات ؟

فأجمعوا جميعا من ساعتهم أنه كلام الكميت

فقال هشام . نعم ! هذا الكميت ينذرني بخالد بن عبد الله !

ودلالة الاسلوب على صاحبه مظهر من مظاهر قوة الشخصية . بغض النظر عن القيمة الذاتية لآثار الكتاب والشعراء

وكان بشار يتحامل على الكميت ويقول : ما كان الكميت شاعرا . فقيل له . كيف وهو الذي يقول

أنصف امرىء من نصف حى يسبنى　　لعمرى لقد لاقيت خطبا من الخطب
هنيئا لكلب أن كلبا يسبنى　　وانى لم أردد جوابا على كلب

فبهت بشار، وأجاب بجواب سخيف

وتحامل بشار على الكميت ليس بشيء، فان الشعراء قد يجازى بعضهم بعضا أسوأ الجزاء، وقد يكون من أسباب حقد بشار على الكميت رغبته فى أن يغيظ أشياعه من الرواة والنقاد. وما قيمة تحامل بشار بجانب شهادة الجاحظ الذى قال: ما فتح للشيعة الحجاج الا الكميت بقوله

فان هي لم تصلح لحي سواهم　　فان ذوى القربى أحق وأوجب
يقولون لم يورث ولولا تراثه　　لقد شركت فيها بجيل وارحب

وكان الجاحظ من أعلم الناس بتطور الحركات العقلية فى الاحزاب الاسلامية

ومن أقرب الشهادات الى معاني الوفاء ما وقع يوم التقت ريا بنت الكميت وظاطمة بنت أبان ابن الوليد بمكة وهما حاجتان. فتساءلتا حتى تعارفتا. فدفعت بنت أبان الي بنت الكميت خلخالى ذهب كانا عليها، فقالت لها بنت الكميت. جزاكم الله خيراً يا آل أبان! فما تتركون بركم بنا قديما ولا حديثا. فقالت لها بنت أبان. بل أنتم فجزاكم الله خيراً فانا أعطينا كم ما يبيد ويفنى، وأعطيتمونا من المجد والشرف ما يبقى ابدا ولا يبيد، يتناشده الناس فى المحافل، فيحيي ميت الذكر، ويرفع بقية العقب

وكان الكميت أجاد مدح أبان بن الوليد

وكان بنو أسد يعدون الكميت من مفاخرهم ويقولون. فينا فضيلة ليست فى العالم، ليس منزل منا إلا وفيه بركة وراثة الكميت، لانه رأى النبي صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال له. أنشدنى.

طربت وما شوقا الى البيض أطرب

فأنشده، فقال له. بوركت وبورك قومك!

وحدث أبو عكرمة الضبى عن أبيه قال. أدركت الناس بالكوفة يقولون.

من لم يرو (طربت وما شوقا الى البيض أطرب) فليس بهاشمى

ومن لم يرو (ذكر القلب إلفه المهجورا) فليس بأموى

ومن لم يرو (هلا عرفت منازلا بالابرق) فليس بمهلبي

ومن لم يرو (طربت وهاجك الشوق الحثيث) فليس بثقفى

وكان الى هذا كله يوزن رأيه فى الحكم على الشعراء . وقد أثبت صاحب الاغاني رأيه فى شعر أميه ابن ابى الصلت

وكان هو نفسه مفتونا بالاجادة . فقد قيل له . أنك قلت فى بنى هاشم فأحسنت ، وقلت فى بنى اميه أفضل ، فأجاب . انى اذا قلت احببت ان احسن

وقد استشهد النحاة بشعره غير مرة ، وان كره ذلك المفضل الذى سلكه مع كثير وذى الرمة والطرماح ، على حين كان يراه معاذ الهراء أشعر الاولين والآخرين

تلك منزلة الكميت عند القدماء ، فان سألتم أين منزلته فى العصر الحديث فانا نذكر انه آخر من يهتم به أساتذة الادب فى المعاهد العلمية . وقد سبق المستشرقون الى احياء شعره فطبعوا هاشمياته فى ليون سنة ١٩٠٤ وكتب لها أحدهم مقدمة وتصحيحات باللغة الالمانية

٥ — كانت حياة الكميت موزعة بين طائفة من الاهواء والميول . فكان من الوجهة النفسية رجلا يعرف حقوق الاخوان ، فيصطفى من يصطفى على أساس العقل ، وقد لاحظ معاصروه ان ما كان بينه وبين الطرماح من المودة لم يكن بين اثنين ، على تفاوت المذهب والعصبية ، فقيل له . فيم اتفقتما هذا الاتفاق مع اختلاف سائر الاهواء ؟ فقال . اتفقنا على بغض العامة !

ومعنى هذا أن قرابة العقل كانت تجمع بين الرجلين، وتلك لفتة خليقة لا يدرك قيمتها إلا الاقلون

ومن أجل هذا اهتم ابن قتيبة برواية شعره فى باب الاخوان فى عيون الاخبار . فروى له فى باب المودة بالتشاكل هذه الابيات

وما أنا بالنكس الدنيء ولا الذى   اذا صد عنه ذو المودة يقرب
ولكنه ان دام دمت وان يكن   له مذهب عنى فلي عنه مذهب
ألا ان خير الود ود تطوعت   به النفس لا ود أتى وهو متعب

وروى له فى باب شرار الاخوان

وقد يخذل المولى دعائى ويجتدى   اذاتى وان يعدل به الضيم اغضب
فأونس من بعض الصديق ملالة الدنو ، فاستبقيهمو بالتجنب

ويتصل بصدق الاخوة فى نفسه ما وقع له يوم مدح الحكم بن الصلت بقصيدته

طربت وهاجك الشوق الحثيث

فانه لما فرغ من انشاده دعا الحكم بخازنه ليعطيه الجائزة ، ثم دعا بأبان بن الوليد فأدخل عليه وهو مكبل بالحديد فطالبه بما عليه من المال ، فالتفت الكميت فرآه فدمعت عيناه ، وأقبل

على الحكم فقال . أصلح الله الامير ! اجعل جائزتى لأبان

وكان حوشب بن يزيد الشيبانى بالمجلس وكان يكره الكميت وأبان معا ، وساءه ان يشفع الكميت لأبان ، فقال . أصلح الله الامير ! أتشفع حمار بنى أسد فى عبد بجيلة ؟

فقال له الكميت . لئن قلت ذاك فوالله ما فررنا عن آبائنا حتى قتلوا ، ولا نكحنا حلائل آبائنا بعد ان ماتوا . . وكان يقال . ان حوشبا فر عن أبيه فى بعض الحروب فقتل أبوه ونجا هو وفيه يقول الشاعر

نجى حشاشته وأسلم شيخه لما رأى وقع الاسنة حوشب

٦ — وكما كان الكميت عذب المودة كان مر العداوة ، وقد هاجي فريقا من الشعراء ، وتعرض للحبس بسبب هجائه لبعض الامراء ، عرض له الكلبى بهذين البيتين

ما سرنى ان أمي من بنى أسد وان ربى نجاني من النار
وانهم زوجوني من بناتهم وان لى كل يوم الف دينار

فأجاب الكميت

يا كلب ، مالك أم من بنى أسد معروفة فاحترق يا كلب بالنار
لكن أمك من قوم شنئت بهم قد قنعوك قناع الخزى والعار

وحمله غرامه بالهجاء على التفوق فى علم الانساب ، فانه لا شىء أخطر فى الخصومات من معرفة قديم المثالب حين تضطرم نار السباب . ويظهر أن الكميت كان عنى على الاولين من النسابين ، فقد نقل ياقوت ان ابن عبدة النساب قال :

« ما عرف النساب أنساب العرب على حقيقة حتى قال الكميت النزاريات فأظهر بها علما كثيرا ، ولقد نظرت فى شعره فما رأيت أحدا أعلم منه بالعرب وأيامها »

وفى الاغانى ان الكميت وحمادا الراوية اجتمعا فى مسجد الكوفة فتذاكرا أشعار العرب وأيامها ، فخالفه حماد فى شىء ونازعه ، فقال الكميت . أتظن انك أعلم منى بأيام العرب وأشعارها ؟ قال . ما هو إلا الظن ؟ هذا والله اليقين ! فغضب الكميت ثم قال . لكم شاعر بصير يقال له عمرو بن فلان تردى ؟ ولكم شاعر أعور أو أعمى اسمه فلان بن عمرو تردى ؟ فقال حماد قولا غير مقنع . فجعل الكميت يذكر رجلا رجلا من صنف صنف ويسأل حمادا هل يعرفه ؟ فاذا قال لا أنشده من شعره جزءا جزءا حتى ضجر السامعون . ثم قال له الكميت فاني سائل عن شىء من الشعر فسأل عن قول يزيد بن طعمة الخطمي

طرحوا أصحابهم فى ورطة قذفك المقلة شطر المعترك

فلم يعلم حماد تفسيره . فسأل عن قول الآخر

تدريننا بالقول حتى كأنما تدرين ولدانا تصيد الرهادنا

فأفحم حماد ، فقال له الكميت . أجلتك الى الجمعة الاخرى ، فجاء حماد ولم يأت بتفسيرها ، وسأل الكميت ان يفسرها له . فقال : المقله حصاة أو نواة من نوى المقل يحملها القوم معهم اذا سافروا وتوضع فى الاناء ويصب عليها الماء حتى يغمرها فيكون ذلك علامة يقتسمون بها الماء ، والشطر النصيب . والمعترك الموضع الذي يختصمون فيه فى الماء ، فيلقونها هناك عند الشرب ، وقوله (تدريننا) يعنى النساء ، أى ختلننا فرميننا ، والرهادن طير بمكة كالعصافير

ولم يقف الكميت بعلمه عند أنساب العرب وأشعارها ، بل مضى فعرف أخبار الناس فى الجاهلية ، وكانت له جدتان أدركتا ذلك العهد . فكانتا تصفان له البادية وأمورها وتخبرانه بأخبار الناس فى الجاهلية ، فاذا شك فى شعر أو خبر عرضه عليهما فتخبرانه عنه ، ومن هنا كان علمه بالبادية فى اكثره علم سماع لا علم معاينة ، وقد تنبه الى ذلك ذو الرمة حين أنشده بائيته التى عارض بها قصيدته « ما بال عينيك منها الماء ينسكب » فقال له

« ويحك ! أنك تقول قولا ما يقدر انسان ان يقول لك اصبت ولا اخطأت . وذلك انك تصف الشيء فلا تجيء به ، ولا تقع بعيدا منه ، بل تقع قريبا منه »

فقال الكميت . أو تدرى لم ذلك ؟ قال . لا ، فقال لانك تصف شيئا رأيته بعينيك وأنا أصف شيئا وصف لي، وليست المعاينة كالوصف

وهذا كله يدلنا على ان الكميت استعد للثقافة الشعرية استعدادا بلغ فيه أقصى الجهد، وكثير من شعره يجرى مجرى التلميح لما وقع بين القبائل ، على نحو ما يرى فى هذا البيت

كأن الغطامط من غليها أراجيز أسلم تهجو غفارا

٧ — ننتقل الى الاهم من أمر الكميت ، وهو حبه لاهل البيت ، وليس من المغالاة ان نقول ان حبه للرسول وأهله كان أقوى ما عرف من عواطف الشعراء لذلك العهد . وهو فى حبه هذا يمثل الروحانية أصدق تمثيل ، وما ظنكم برجل يفنى فى حبه فناء تنمحي الدنيا فى سبيله أو تكاد ويمضى فيتغنى بحب الرسول وأهل بيته فى أيام كان مدح الرسول فيها يعرض الشاعر لغضب بنى أمية ، وبيدهم الحول والطول ، وما كان بنو أمية بكافرين حتى يؤذيهم مدح الرسول ، ولكن السياسة

كما أشرنا من قبل كانت ترى فى مدح الرسول تزكية للهاشميين ، وكان الـكميت يصرح بانهم انتهبوا الخلافة بغيرحق ، وهى فى رأيه ميراث الرسول لا يصلح لها الا أهله الأقربون

وشواهد التاريخ تدلنا على أن الهاشميين كانوا فى حال من اليأس لا يرهبهم فيها عدو ، ولا يرجوهم صديق ، وهذا يزيد فى اقدار من تعصبوا لهم من الشعراء ، ولا سيما اذا لاحظنا أن الـكميت كان يتوجع لبنى هاشم توجعا يثير الدمع ، وكان يحن الي مودتهم حنينا هو أقباس من التصوف . وكانت له معهم نوادر تفصح عن صدق سريرته أجمل إفصاح ـ واليك هذا المثال

دخل الـكميت على أبى عبد الله جعفر بن محمد فقال له : جعلت فداك ! ألا أنشدك ؟

فقال أبو عبد الله . انها أيام عظام ، فقال الـكميت . انها فيكم . فقال . هات !

وبعث أبو عبد الله الي بعض أهله فقرب ، فانشده ، وكثر البكاء حين أتى على هذا البيت

يصيب به الرامون عن قوس غيرهم فيا آخراً أسدى له الغىّ أول

فرفع أبو عبد الله يديه وقال : اللهم اغفر للكميت ماقدم وما أخر ، وما أسر وما أعلن وأعطه حتى يرضى !

ومن المؤكد عندنا أن هذه الدعوة كانت أحب الى قلب الـكميت من سنى العطاء ، ودليلنا على ذلك انه دخل يوما على ابى عبد الله فاعطاه الف دينار وكسوة . فقال له الـكميت :

« والله ما أحببتكم للدنيا ، ولو أردت الدنيا لأتيت من هى فى يديه ، ولـكنى أحببتكم للآخرة فاما الثياب التى أصابت أجسامكم فانا أقبلها لبركاتها . واما المال فلا أقبله »

وكذلك رد المال وقبل الثياب

ودخل علي فاطمة بنت الحسين فقالت . هذا شاعرنا ، اهل البيت !

وجاءت بقدح فيه سويق فحركته بيدها ، وسقت الـكميت فشربه ، ثم أمرت له بثلاثين ديناراً ومركب ، فهملت عيناه ، وقال

« والله لا أقبلها ، انى لم احبكم للدنيا »

فان لم يكن هذا الولاء تصوفا وروحانية ، فأين يكون التصوف وأين تـكون الروحانية ؟

وكان هو نفسه يؤمن بانه يسير فى طريق الحق ، ويعتقد بانه يتقرب الى الله بحب أهل البيت . وشاهد ذلك انه رأى النبى فى نومه وهو مختف بعد ان هرب من السجن فقال له الرسول مم خوفك ؟ فقال . يارسول الله من بنى أمية ، وانشده

ألم ترني من حب آل محمد أروح وأغدو خائفاً أترقب

فقال له رسول الله . اظهر فان الله قد امنك فى الدنيا والآخرة

وقد اطمأنت جماهير المسلمين الى صدق الكميت ، وكان خصومه من الشعراء يعادونه فى هيبة وحذر . خوفا من غضب الرسول ، وقد حدثوا ان دعبلا لما ناقض الكميت فى قصيدته التى هجا بها قبائل اليمن رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فنهاه عن ذكر الكميت بسوء .

والعلم الذى نعرفه وهو علم قليل ، يشرح هذه الاحلام شرحا مقبولا وهو يجعلها دليلا على نيات من يحلمون ، فاذا استطاع العلم بعد اليوم ان يثبت صلة الارواح بالأحياء فسنعرف يومئذ ان الكميت كان قريبا كل القريب من روح الرسول

٨ ــ وقد أثرت عن الكميت مواطن مدح فيها بني امية . فكيف يتفق ذلك لشاعر أخلص فى حب اهل البيت ؟

ونجيب بانه كان ينتمي احيانا الى بنى امية ليقى اعراض بنى هاشم ، فقد لامه ابنه على ان افتخر ببنى امية وهو يهاجى الكلبى عدوه فاجاب .

« يابنى ! انت تعلم انقطاع الكلبي الي بنى أمية ، وهم أعداء على عليه السلام ، فلو ذكرت علياً لترك ذكرى وأقبل على هجائه ، فاكون قدعرضت عليا له ، ولا أجد له ناصراً من بنى امية ففخرت عليه ببنى امية وقلت : إن نقضها عليّ قتلوه ، وان امسك عن ذكرهم قتلته غما وغلبته »

وكان الأمر كما قال : امسك الكلبى عن جوابه فغلب عليه وافحم الكلبى

ودخل يوما على ابي جعفر محمد بن على فقال له . يا كميت ! انت القائل

والآن صرت الى أمية والامور الى مصاير

فأجاب الكميت . نعم ! قد قلت . ولا والله ما أردت به الا الدنيا ، ولقد عرفت فضلكم

وهذا الجواب غاية فى ادب النفس ، فالشاعر لاينكر انه مدح بنى أمية ، وانما يعترف بانه لم يرد بذلك الا الدنيا ، اما الآخرة فقد ارادها بمدح اهل البيت

ولنتذكر انه قال هذا القول بمسمع من بنى امية ، وبايديهم مفاتيح الخزائن ومقاليد السجون فهو منهم بين الرجاء والخوف ، ولم يمنعه ذلك الموقف الحرج من التصريح بانه لم يمدحهم إلا للدنيا الفانية ، وهذا التصريح هو فى ذاته قصيدة هجاء ، وهل ينكر احد ان الاعتراف يهدم الاقتراف

على انه ان صح ان الشعر دليل علي وجدان الشاعر فسيبقى من شواهد صدقه ان شعره فى الهاشميين اقوى من شعره فى بني امية . فليست اشعاره في الامويين إلا قصائد مديح لها نظائر وامثال فى اللغة العربية . اما قصائده الهاشميات فهى اعز وامتع من ان يكون لها نظائر وامثال

فجر الضمير الانسانى

كتاب للمصرلوجى برستد يعرضه ويعلق عليه

الاستاذ بشري الضبع

(١)

لسنا نبالغ اذا قلنا إن الاستاذ برستد فى كتابه هذا « فجر الضمير » فنان عظيم . لا يقل فى نفاذ بصيرته وقدرته العجيبة على الانسجام والحياة عن هؤلاء الفنانين العظام الذين نعرفهم . كدستويفسكى وبيتهوفن وبرجسون . ولولا ما يستلزمه البحث من اثبات المستندات المادية ولولا هذا الطابع العلمى الذى يطغى على الكتاب من حين لآخر لما شك أحد فى أن الكتاب الذى بين يديه انما الفه شاعر ذو بصيرة آلهية أو موسيقى مبدع خلاق ترك الرموز والانغام ليصور لنا فترة رائعة من فترات الوجود هي تلك الفترة التى بدأ فيها الانسان لاول مرة وفى وادى النيل يلتمس فى نفسه عالما جديدا غير عالم العناصر الطبيعية والضرورات المادية ، هو عالم القيم والمثل ، فى عبارات والفاظ هى موسيقا خالصة . والانسان ليتساءل . هذا الكتاب . أوهو سيمفونيا هائلة استحالت الى قصيدة من الشعر أم هو قصيدة بلغت من الروعة والكمال الى حد أن استحالت فيها الالفاظ والعبارات الى رموز وانغام ! على أن الامر الذى لاشك فيه هو ان أثر هذا الكتاب فى النفس يفوق هذا الأثر الغريب الذي تتركه فى نفوسنا قطعة من هذه القطع الموسيقية الخالدة ، اذ تثير فينا عناصر الخلق والشخصية وتقرب المسافة بيننا وبين الوجود الجامد

يحب الاستاذ برستد مصر حبا متناهيا . فلا تكاد تبدأ فى قراءة الكتاب حتى تتردد فى القول . أهو عاشق سخر عبقريته وملكاته كاقصى ما يمكن ان تصل اليه هذه العبقرية والملكات من الاجادة والدقة ليصور عشيقته ويظهر ما فيها من جمال عبقرى وسحر مرتجل ! ام هو مصري صميم طغى عليه تعصبه لقومه فراح يتحدث عنه فى هذه البلاغة الشعرية كما كان يتحدث شعراء العرب القدماء عن آبائهم واجدادهم ! لم يكن الاستاذ برستد فى الواقع شيئا من هذين . وانما هو عالم من هؤلاء العلماء الافذاذ الانسانيين الذين فتنتهم الشخصية الانسانية والوجود الانساني فراحوا

يلتمسون أسراره وخفاياه بشتى الوسائل . فتراه يجد السعادة الخالصة واللذة المتناهية فى الانكباب على حجر من هذه الاحجار الجرانيتية السوداء او علي ورقه من أوراق البردى قد ذهب بمعالمها من الاجيال المتعاقبة ليكشف عما وراء هذه الاحجار والاوراق من دنيا حية حافلة يستمد منها الضوء الذى يدرس عليه الوجود الانساني . فتراه متنقلا بين المصريين القدماء كانه يعيش بينهم ويتحدث اليهم وهو ينقلك بحسك وشعورك الى هذه الحياة فاذا أنت فى قصر أحد النبلاء وقد جلس الى زوجته الجميلة فى الحديقه يتحدثا حديثا راقيا فى شئون الحياة المختلفة ، فى الشعر فى الدين ، فى الحياة الاجتماعية وفى نظم الحكم والسياسة كما نفعل نحن الآن . وحولهما أولادهما الصغار يلهون بعصفور أو كرة أو يطاردون السمك فى بحيرة القصر . أو ترى نفسك متجولا بين السوق والحقل ، ترى سيد الضيعة وقد وقف فى عظمة وخيلاء يلاحظ فلاحيه وهم ينبشون الارض أو يبذرون البذور ، يقودون قطعان الغنم من الحقل أو اليه ، أو منهمكين فى اقامة شادوف أو قائمين على حفر قناة . أو ترى نفسك فى السوق ، هذا يساوم على سلعة وهذا يبيع للناس من خيرات مصر ونتاجها . وهناك فى آخر الطريق نجار يعمل فى حانوته أو حداد يتحايل على قطعة من النحاس فى يده . أو صانع خزف قد قام على كثيب من الصلصال يأخذ منه فى جد ونشاط ليحيله الي آنية جميلة كأن الحياة لم تخلق الا ليحيل هذا الصلصال الى آنيه جميلة

— ٢ —

تطغى الآن على قادة التفكير فى أوربا وأمريكا موجة فلسفيه انسانية مبعثها على ما أرى الانانية الانسانية أو الغرور الانسانى . ومن يقرأ الكتب الحديثة لجينز وهوايتهد أو فريزر وولز يدرك هذه الظاهرة ، فتراهم فى كل ابحاثهم الفلكية والانثروبولوجية والطبيعية والتاريخية والاجتماعية يبحثون عن شيء واحد . أهناك معنى أو قيمة للحياة ! أهناك معنى للوجود الانسانى وللوجود على الاطلاق ! واهتمام العلماء بعالم القيم والمثل الباطنة واضح جلى ، فهو على مايظهر أقرب الى غرور الانسان من أى شيء آخر . وقد دفعهم هذا التساؤل عن قيمة هذا العالم الاخلاقى الكامن فى نفس الانسان أو هذا الوجدان الى البحث عن أصوله وبواعثه . وقادتهم هذه الابحاث الي مناقشة الكتب المقدسة وخاصة كتاب العهد القديم . وقد تضاربت الاقوال فى أصل هذا العهد القديم وذهب كثيرون الى الاعتقاد بأن التراث العبرى هو استمرار للثقافة البابلية ، وهذا صحيح الى حد ما . ولكن أحدث الاكتشافات التى يطلعنا عليها برستد فى كتابه هذا وخاصة اكتشاف

أول درامة أخلاقية التى تعرف بدرامة منفيس ، نقلت على حجر من البازلت الاسود عن الاصل المكتوب على ورقة بردى بادت واندثرت ويرجع تاريخها الى سنة ٣٥٠٠ ق . م . وا كتشاف الحكم الثلاثين التى الفها حكيم مصرى اسمه أمينوموب فى القرن العاشر قبل الميلاد ، دلت هذه الا كتشافات على أن أرقى مافى الثقافة العبرية انما هو مستمد من التراث الاخلاقى للمصريين القدماء .

وأنه قبل أن يظهر حمورابي بقانونه المعروف حوالى سنة ٢١٠٠ ق . م . كانت مصر تتمتع بحظ عظيم جدا من الادراك الخلقى واحترام المثل الاجتماعية بما يبلغ ١٥٠٠ سنة قبل ظهور حمورابي . فالا كتشافات الحديثة لمصر القديمة كان لها اذن أ كبر الاثر فى تغيير نظر الناس عامة الى قيمة هذا العالم الخفى من القيم والمثل والى النظر الي الوجود الانساني والى الوجود العام نظرا جديدا .

وندرك خطورة هذا الجديد حين نتبين مقدار الامل والنور العبقرى الذى يتفجر فى قلب برستد فترى صلته بالوجود العام تقرب وتتصل وتبعث فيه الاحساسات الراقية الشريفة هي فى الواقع نهاية ماوصل اليه الوجود العام بعد هذا السير الثابت المتطرد . هو احساس بوحدة الوجود وبحب عام . فهو لايكتفى بعرض الوقائع التاريخية وعقد المقارنات بين الثقافات المختلفة وتسجيل خلاصة مايصل اليه من النتائج وانما هو الى هذا انسان تبعثه طبيعته البشرية الى البحث عما وراء هذا الوجود الانسانى الذى انبعث من هذا الكون الهائل . وامتزاج الشخصيات الثلاث فى نفس برستد شخصية العالم والمؤرخ والفيلسوف ، أرهف حواسه وفتق بصيرته وجعله يصغى الى صخب هذا التيار الخالد الذى ينبض فى صميم الوجود ، وجعله يتلمس هذه القوة الكامنة التى يسميها برجسون Elan Vital والتى دفعت الوجود الى التقدم والرقى . هذا الوجود ، الذى بدأ بسيطا وأخذ فى فى سبيل النشوء : من حياة جيولوجية الى حياة بدائية الى حياة وحشية ، الي حياة متمدينة بسيطة ثم الى هذه الحضارة المتشعبة الاطراف ، هذا الوجود لايزال فى طريقه نحو النمو والكمال . تاريخ الانسان ان هو إلا حلقة من حلقات الوجود ، هو اختبار من اختبارات الوجود العام فى سبيل النشوء والتقدم . والذى فتق عناصر البصر الباطنى فى نفس برستد هو ا كتشاف المستندات المادية التى كشفت له عن حياة المصريين القدماء . فقاده هذا النور الجديد الي هذه الحقيقة الرائعة هي أن التاريخ الانسانى كل واحد ، تيار متماسك بدأ فى شمال أفريقيا فى ربوع الصحراء الخضرا ، وها هو ذا انتهى إلي حياتنا الراهنة ، وأن المصريين القدماء كانوا نقطة الانتقال من الحياة البدائية والوحشية الي هذه الحياة العاقلة المدركة لهمس الوجدان ، لقيمه ومثله . أو فى عبارة أخرى كانوا

النقطة التى وصل عندها الوجود العام لادراك ذاته واكتشاف وجدانه وشخصيته والى الاشراف على عالم جديد فياض من القيم والمثل لانزال نحن المحدثين على أبوابه . وهو لهذا ينكر على المدنية الاوربية والامريكية مغالاتها فى طلب القوة وعبادة الكيان المادي ، ويلفت نظر الناس الى هذا العالم الفذ الذى اكتشفه أجدادنا العظام ووقفت المدنية الحديثة عند حدوده لاتتعداها . ويدعوهم الى محاوله اكتشاف قوى النفس والسيطرة عليها واستخدامها فى سبيل رقي الوجود الانسانى العام . كما اكتشفوا القوى الطبيعية واستخدموها فى سبيل الوجود المادى فالمدنية الحديثة فى نزعتها المادية التى لم تتخط فى الواقع مدارج الوحشية من حيث الشخصية والوجدان

وسنتبع الآن فى هذا الكتاب كيف بدأ الانسان لأول مرة فى التاريخ وفى وادي النيل يدرك هذا العالم الرائع ، هذه الدنيا الحافلة : عالم الشخصية والوجدان ، دنيا القيم والمثل .

هذا الضمير بعقايده ومثله لم ينزل الى الانسان من السماء وانما هو انبعث من داخله هو ينبوع فجرته تجاريب الانسان الخاصة واختباراته . هو ثمرة حياته الطويلة التى لفها الابد فى زمانه المعتم . ثم نراه يظهر ويتجسم عند اجتماع الانسان فى حياة منظمة مستقرة . هو أثر من آثار الاختبار الطويل والجماعة المنظمة ، تأثر بها ثم أثر فيها فيما بعد ووجهها وأبدع فيها حين أصبح قوة اجتماعية هائلة ترفع الانسان الى التقدم والبناء .

(٣)

منذ مئات آلاف السنين فى اثناء العصر الحجرى القديم كان الانسان يعيش فى شمال افريقيا اذ كانت الصحراء فى هذه الازمان مكانا ممطرا خصيبا صالحا لسكنى الانسان الصياد والمتوحش . ولقد عاني أخوه فى اوربا هول الثلاجات التى زحفت عليه اربع مرات فى هذا العصر . فكان كلما قطع مرحلة فى سبيل النشوء والتقدم هاجمته هذه الثلاجات فرجعت به من حيث بدأ وهكذا كان الحال أيضا فى غرب اسيا . ونحن حين نعرف هذه الحقيقة لا نجد مايمنعنا من ترجيح صدق هذه النظرية التى تقول : ان قصة الطوفان ان هى الا تقليد قديم ورثه اجداد حمورابي واورثوه للاجيال التى تعاقبت بعدهم . وفى منتصف العصر الحجرى القديم الى أوائل الحديث بدأ المطر يشح والارض تجدب فاضطر هذا الانسان المتوحش الى البحث عن مكان صالح لتجواله وصيده فقاده التجوال الى احراش النيل العليا التى ترجع معرفته لها حين كان يقوده القنص والتجوال اليها

في الازمنة السابقة . وفى صحراء النوبة خلف ابى سنبل لانزال نرى قوارب هؤلاء الصيادين محفورة على الصخور .

هذه السماء الصافية وهذه الشمس المشرقة وهذا الخصب الموفور ، وفى كلمة هذا الجو الجديد احال سكان النيل القدماء الى جماعة منظمة متماسكة ، الي دولة ذات حكومه وسيادة . وأصبحنا نرى أول اتحاد يحدث فىالتاريخ حوالى سنة ٤٠٠٠ ق . م فى وادى النيل . واتخذ مقره مدينة اون . ولم ينشأ اتحاد « مينا » فى الواقع إلا بعد خمسة قرون على الاقل . فاذا بنا نرى هؤلاء الصيادين بآلاتهم الفطرية وأكواخهم الحقيرة التى كانوا يعيشون فيها قد استحالوا الي شعب متماسك الاجزاء يسيطرعلىشئونه رجال ناضجون ذوو خيال واسع وفطنة مبدعة . هؤلاء الرجال الذين بسطوا أيديهم على هذا الوادى الخصب كانو يصدرون فى كل مايفعلون عن وحي عقولهم وعبقريتهم المرتجلة لاينير لهم الطريق حضارة موروثة كما هو الحال فى حضارتنا الراهنة . فاحالوا هذه الاحراش التى كانت تمتد على جانبي الوادي الى جنة فيحاء . لم يملأوها بهذه الآثارالضخمة فحسب وانما ادركوا هذه القيم الاجتماعية والروح الايثارية التى لم نر مثيلا لها من قبل . فمن صيادين جوالين متوحشين الى حكام وساسة وفنانين ومهندسين وصناع وحكماء ورسل اجتماعيين فى دولة منظمة متماسكة . لقد كانوا اول شعب أدرك القيم الاخلاقيـة ومعاني السلوك الانساني وأسس أول حضارة قامت عليها حضارات العالم كلها . لاشك فى أنه كان في بابل نوع من الثقافة تتمثل فى تقدم الناس فى شئون الحياة العملية فى التجارة والقانون والحكومة . وكان أهم مايمتاز به هؤلاء القوم التنجيم ، اذ كانوا يظنون أن مصير كل انسان مرتبط بجرم من الاجرام السماوية وعلى أساس هذا العلم قام علم الفلك ونمي علي أيدى اليونان الذين أورثوه لنا

لبس فى هذا شك ولكنها مع ذلك ثقافة خشنة تقوم علي الانانية والغرائزالاولي . فقد كان قانون حمورابى قائما على الفوارق الاجتماعية ، كل طبقة لها قانونها الخاص . أما فى مصر فنحن نري لأول مرة فى التاريخ أن الجميع متساوون أمام القانون . وبهذا فان الثقافة الاوربية الخلقية لاتدين للثقافة البابلية وانما لمصر .

(٤)

حين نتأمل فى التاريخ القديم نرى انه لم تكن هناك قوة ما تعادل القوة الدينية فى التأثير علي جهود الانسان فى مناحى الحياة العديدة . فالدين فى أول أمره هو محاولة الانسان محاولة غامضة ساذجة لتفسير مظاهر الطبيعة التى حوله والسيطرة عليها . فمخاوفه كانت السيد الذى يستولى على

مشاعره وآماله المرشد المختبر الذى يقوده وأعياده هى تقويه وأعماله فى الحياة هي المعلم والحافز الى ترقيته وتقدمه فى الفن والادب والعلم .

لم يكن الدين يمس الحياة من كل ناحية فحسب بل كانت الحياة والفكر والدين ممتزجة امتزاجا معقدا مشتبكا تمسك اجزاءها وتمزجها هذه الاحاسيس التى كانت تصدر الى الانسان من العالم الخارجى والعالم الباطنى .

كان المصرى القديم فى بادىء الامر يلتمس صيانة كيانه المادي عند العناصر الطبيعية التى رفعها والهها وتوسل اليها بمختلف الوسائل حينما كان مبعثرا متوحشا لا تربطه رابطة اجتماعية . ولكن بعد ان اجتمع واستقر فى هيئة متماسكة ونشأ عن هذا الاجتماع والاستقرار حاجات جديدة تتصل بعالم جديد عالم من القيم والمثل . نراه يلتمس صيانة هذا الكيان الجديد بوسائل مادية فى بادىء الامر ثم نراه بعد ذلك يدرك فشل هذه الوسائل حين ينظر حكماء عصر الاقطاع الى آثار اجدادهم فى شك وسخرية . الدين فى أول أمره ليست له صفة خلقية وانما هو تقليد موروث غايته حفظ الكيان المادى . ثم حينما أخذت مصالح هذه الهيئة الاجتماعية تتقدم بدأ الانسان يميز بين سلوك وسلوك . فهذا شر واثم وهذا خير وصالح . هذا شر لانه يضر الجماعة ويفسد نظامها ، وهذا خير لانه يفيد الجماعة ويحفظ كيانها . ثم جرد بعد ذلك وعمم وعرف الخير المحض والشر المحض ولقد أخطأ المؤرخون حقا حين أرادوا أن يؤرخوا تاريخ الانسان فقسموه الى عصور مختلفة كل حسب ميله وموضوع دراسته . فالمؤرخ السياسى يحدثنا عن عصور الملكية الطاغية وعن الامبراطوريات وعن الديموقراطية . وعالم الآثار يحدثنا عن العصر الحجرى وعصر النحاس والبرونز والحديد . وليست هذه التقسيمات بالضارة وانما هى سطحية لاتتصل بالجوهر والصميم اما الجوهر والصميم فهو أن نقسم تاريخ الانسان الى عصرين كبيرين . عصر كان الانسان فيه يعيش فى عالم الغرائز توجهها غرائزه لايدرى من أمره شيئا وعصر أدرك فيه شخصيته ولمس وجوده .

(٥)

عرف المصرى القديم آلهتـه أول الامر فى مظاهر الطبيعة التى كانت تحوطه . فى الاشجار والينابيع ، فى الاحجار والتلال وفى الطير والحيوان . كل هذه الاشياء كانت مثله لها قوي باطنة ليس له عليها سلطان . ولم يكن يعتقد فى بادىء الامر ان لها علاقة بفكرة الخير والشر او أنها تطلب من عبادها أن يحققوا شيئا من هذا وانما كانت الصلة بين الاله والعابد صلة مادية . كان العابد يتزلف لآلهه كما يتزلف الى رئيسه لكى يوفر له مصادر عيشه .

وكانت أهم الظواهر الطبيعية التى أثرت فى عقولهم الشمس التى يمثلهـا الآله « رع » . وفى المعابد القديمة جدا فى أبى صير نرى هذه الشمس الاله ينبوعا للحياة والنمو . فكان الناس يوجهون اليه هذا الكلام . لقد أبعدت العاصفة وطردت المطر وشتت السحاب . فهذه كانت أعداؤه نراها مشخصة فى أساطيرهم القديمة التى تقص علينا كيف فقد « هورس » عينه فى حرب مع هذه الآلهة آلهة الظلام . وكذلك كان للازدهار والخصوبة التى يمثلها الآله « أوزوريس » تأثير كبير على عقولهم . فموت اوزوريس وبعثه هو موت الارض وازدهارها من جديد . وهذا يذكرنا بقول الرسول بولس فى رسالته الاولى الى أهل كورنثوس ١٥ . ٣٦ . ولكن يقول قائل كيف يقوم الأموات وبأى جسم يأتون ، ياغبى الذى تزرعه لايحيا ان لم يمت

وليس هناك شك فى أن الاعتقاد بالشمس الاله كان سائدا فى عصور ما قبل التاريخ اذ نرى الشمس الاله مصورا وهو فى شكل صياد ينساب بين احراش النيل فى قاربه المصنوع من الغاب ولا نزال نرى اثار هذه الفكرة موجودة فى النصوص الاهرامية اذ نرى الشمس الآله مخترقا الأنهار السماوية فى قارب مصنوع من الغاب كالقارب الذي صوره انسان ماقبل التاريخ . وفى ادفو نرى الشمس الآله يظهر فى شكل قرص مجنح وذلك لان الفلاح المصرى القديم كان يظنه شبيها بهذا العقاب الذى يرتفع الي طبقات الجو العليا . ونحن نرى أن قرص الشمس المجنح أصبح فيما بعد رمز الدين المصرى القديم كما كان الصليب رمز الدين المسيحى . وحين نقرأ هذه الصور الغريبة نلمس أثر الدين والتصور المصرى واضحا جليا مثل . أجنحة الفجر ، شمس الحق يحمل البرء والشفاء تحت أجنحته . والنصوص الاهرامية تدلنا على أنه كانت الهة شمسية محلية توحدت فيما بعد فى آله واحد هو اله الملك الحاكم . وقد حدث هذا التوحيد حين تكون الاتحاد الاول اذ نرى هـذا الاله الطبيعى يدخل فى عالم الشئون الانسانية. وهنا نتبين اثر الحالة الاجتماعية فى معتقداتهم . فحين أصبح ملك أون ملـكا عاما على البلاد أصبح أيضا اله اون الها عاما لـكل البلاد فكان الناس يوجهون اليه مثل هذه التسابيح . ليس هناك اله يسمو عليه . وكأنى بهذا اسمعهم يقولون لاميرهم أنت هو أمير البلاد ، ليس هناك أمير يعلو عليك . من عالم الطبيعة الى عالم الناس انتقل الشمس الاله . ونرى مظاهره الخارجية الساذجة التى كانت تتصل به فى عصور ما قبل التاريخ تتغير بتغير الظروف الاجتماعية التى تحيط بالناس

نرى فيه تجسيم المثل الاجتماعية التى يطمح اليها هذا الشعب العظيم . فنسمع عنه بابه أبو البشر

وخالق الحق والعدل والمساواة . وحتى مظاهره المادية تغيرت . فبعد أن كان هذا الاله يطوف فى انهار السماوات فى قارب من الغاب أصبحنا نراه فى عصر الاهرامات فى مركب ملكى فخم كهذا المركب الذى يستعمله فرعون لنفسه

(٦)

تكلمنا فى بدء هذا الحديث عن حجر من البازلت الاسود . هذا الحجر حينما امتحنه برستد وجد فيه صورة لاول كتاب يمثل مراحل اليقظة الوجدانية وانتقال الشمس الاله من عالم الطبيعة الى عالم الناس وشئونهم . وهو الي هذا يعكس صورة الافكار التى كانت شائعة عند كهنة أون فى بدء الاتحاد الاول وسير تطورها . كتبت هذه الدرامة فى عهد مينا وهى تقص علينا قصة الخلق والناموس الارضى والنظام السماوى . وعليه نقرأ ما يأتى . فتاح العظيم هو قلب ولسان الآلهة « القلب هنا معناه العقل أو الذكاء . واللسان معناه الكلمة المنطوقة التى يتم بها وقوع ماهو موجود بالقوة أي ماهو موجود فى القلب » ثم نقرأ . هكذا حدث أن القلب واللسان أمسكا بزمام كل عضو عارفين أن فتاح فى هيئة القلب كائن فى كل صدر وفى هيئة اللسان موجود فى كل فم، فى كل الآلهة ، فى كل الناس ، فى كل الماشية والزحافات وفى كل ماهو حى . اذ يفتكر فتاح ويأمر بكل مايرغب فيه . هكذا وجد وعرف أن قوة فتاح تفوق قوى جميع الآلهة . وارتاح فتاح الى عمله بعد ان صنع جميع الاشياء وكل كلمة سماوية . اليس هذا يذكرنا بسفر التكوين وبالعبارة التى تقول : ورأى الله كل ماعمله فاذا هو حسن جدا . تكوين ١ : ٣١ ثم نقرأ: صنع الآلهة وشيد المدن وبسط الحقول وأقام الآلهة على عروشهم المقدسة . أما فيما يتعلق بهذا الذى يصنع ماهو مرغوب فيه وهذا الذى يفعل ماهو مكروه فالحياة تمنح لرجل السلام والموت للمجرم . ولنلاحظ هنا أن هؤلاء المفكرين القدماء كانوا يستعملون كلمة السلام ، وليس كلمة الخير ، وهذا يفسر لنا الاثر الاجتماعي فى تكوين الاخلاق .

وفى نصوص الاهرام نلحظ تقدما ملموسا فى نظر المصريين الى الحياة وقواعد السلوك . فنرى أميرا من أمراء الوجه القبلى ينقش هذه العبارات على حوائط قبره : لم أتحدث بالكذب ذلك لأني كنت محبوبا من أبى ممدوحا من أمى كريم الخلق مع أخى لطيفا مع أختى . ومن هذه العبارة يستنتج برستد أن نشوء هذه العواطف الكريمة مبعثها العائلة . « وفرويد يذهب هذا المذهب ولكنه يخالفه من حيث أن هذه العواطف الشريفة ان هي إلا أثر من آثار عواطف أخرى

مكبوتة فهى عنده عواطف تعويضية أى أن هناك مركبات جنسية كامنة فى العائلة ، هذه المركبات أثيمة فى طبيعتها ولهذا فانها تدفع الابن أو الأب الى اظهار الحب المبالغ فيه كل نحو الآخر »

ونرى أميرا آخر ينقش على جدران قبره ما يأتي : أطعمت كل جوعان فى جبال « سيراستس » كسوت كل عريان هناك . ملأت شطئانها بقطيع كبير وسفوحها بقطيع صغير . أشبعت ذئاب الجبل وطير السماء أطعمتها من لحم البقر الصغير . لم أحاول أن أغتصب ملكا لأحد فنذهب لهذا يشكونى عند اله مدينتى . لم أقل أو أتحدث إلا بما هو خير . لم يكن هناك أحد يخاف آخر لقوته وبطشه فذهب يشكوه لهذا الى الاله . كنت كريما فى توفير الماشية فى اقطاعيتى . لم أتحدث بالكذب لانى كنت رجلا محبوبا من أبيه ممدوحا من أبي كريم الخلق مع أخيه لطيفا مع أخته » والمقصود من هذا هو أن يترك أثرا طيبا فى نفوس الاجيال القادمة حتى يقدموا له التقدمات والمؤن المختلفة من طعام وشراب . وكما أن الرجل المعتدى فى الحياة الاجتماعية يقدمه الرجل المعتدى عليه الى المحاكمة كذلك الحال فى السماء . كان العمل الصالح هو سبيل السعادة المادية . وفى النصوص الاهرامية نرى أن واجب العدل والحق كان عند المصريين أجل من الملك نفسه . وكان على الملك نفسه أن يسلك فى سبيل العدل والاستقامة . فنرى مثلا هذا القول . لم يعمل الملك بنى شرا قط.

ومن أبدع تعاليم الدولة القديمة تعاليم فتاح حوتب ، فتراه يلقى الى ابنه بالتعاليم الآتية . لاتشمخ بأنفك بسبب علمك أطلب النصح من المتعلم وغير المتعلم . لان آفاق الصنعة غير محدودة ، وليس هناك رجل صناع كامل فى صنعته . الكلام القيم أكثر اختباء من الحجر الاخضر إذ يوجد حتي مع النساء العبيد فى جوار حجر الطاحون » كانت حكمة معت ، التى معناها الحق والعدل والاستقامة تدل فى بادىء أمرها على الهدوء والسلام ثم تطورت فاذا بها تدل على الخير والصلاح . ولكنه خير فردى سيتصل بالفرد والاسرة . ثم تتطور فنراها تشمل صلاح الجماعة كلها وعن هذا الطريق طريق معت توصل المصريون الى التوحيد.

(٧)

أهرام الجيزة مظهر من مظاهر القوة المركزة والثراء الضخم وبقاؤها الى الآن شاهد على ذلك . هذه الثروة الضخمة والقوة المركزة نراها تنحل وتتفكك بانتهاء الدولة القديمه ويتشتت الحكم والثروة والسلطان بين أيدى الامراء فى هذا العصر من الانحلال الاجتماعى نرى الشك يدب فى نفوس الحكماء المصريين فى قيمة هذا السلطان المادي وفى هذه الاهرام التى قصد بها أصحابها

محاربة عناصر الفناء . واذا هم يلتمسون وجودا جديدا هو أبقى على الدهر من هذا الوجود المادى هذا الشك هو ثمرة اختبار طويل للمعتقدات الموروثة . هو الادراك المحسوس لقدرة الانسان على الاعتقاد وعدم الاعتقاد . هو خطوة فذة فى سبيل بروز الشخصية والاستقلال الفكرى . هذا الشك لم ينشأ فى جو فطرى وانما نشأ بعد سير طويل فى سبيل التقدم كان هو ثمرة هذا السير . هذه الروح الجديدة نراها ممثلة فى أغنية منقوشة على معبد من معابد طيبة ومن قراءة الاغنية على الحائط ندرك أن المغنى حين كان يغنى يوجه نظره نحو اهرامات الدولة القديمة .

كم كان موفقا هذا الامير الطيب « يقصد الامير الراحل »
لقد آل المصير الباهر الى الزمان
الاجيال تمر بعيدا
بينما آخرون يبقون
منذ زمن الاجداد
آلهة الاجيال الغابرة
الذين يرقدون فى الاهرام
النبلاء والامجاد رحلوا كذلك
دفنوا فى اهراماتهم
أولئك الذين بنوا قبورهم
ها ذا مكانهم قد درس
كأنها لم تكن
ليس من يرجع من هناك
حتى يحدثنا بما يجرى عندهم
حتى يحدثنا عن ثرواتهم
فيثلج بهذا صدورنا
الى حين نرحل
الى حيث رحلوا قبلنا

ثم يقول .

احتفل باليوم المرح
ولا تكن مهموما يومذاك

ثب أليس رجلا واحدا سوف يأخذ زاده معه

أجل ! ولا أحد سوف يرجع من هناك

أليست هذه الاغنية شبيهة بقول عمر الخيام حين يقول : اليس غريبا أن لايرجع واحد من هذه الآلاف المؤلفة الذين عبروا باب الظلمة ليدلنا على الطريق ، هذا الطريق الذى اذا شئنا اكتشافه وجب علينا أن نعبره .

وفى عصر الاقطاع نرى الشخصية المصرية أكثر وضوحا واستقلالا . كاهن مصرى يصدر فى أقواله عن وعى عقله لا يتقيد فى ذلك بتقييد ما . أنظر اليه يقول : أغريب أن أنطق بما لم يكن معروفا من قبل . بأقوال غير مألوفة ، بكلام لم يحدث قبل الآن ، خال من التكرار . بعبارات لاتتصل بالماضى البعيد ولم يقلها الاجداد . أن أتكلم بما يتفق وما رأيت مبتدئا من الرجال الاولين الى أولئك الذين سوف يأتون لقد نبذ الحق وفى مجلس الشوري ننشر الباطل . نواميس الآلهة تهتك وتعاليمهم يضرب بها عرض الحائط . الارض فى عناء والحزن فى كل مكان ، المدن والاحياء فى نحيب كل الرجال سواء فى المعصية أما الاحترام فقد انتهى أمره .

ومن هذا ندرك انتشار الفساد والشر ، وفى هذا العصر نرى القساوسة يخترعون رقى وتعاويذ لكى يقولها الميت حين يمر على القضاة الاثنين والاربعين فى قاعة العدل حيث يجلس أوزريس وحين يوضع قلبه فى الميزان . فهناك تعويذه لكى يبنى الانسان بيتا له فى العالم السفلى ويحفر له بحيرة فى الحديقة ويغرس أشجار فاكهة . وأخرى لكى يرزق بعائلة وأولاد طيبين . وثالثة لكى يأكل على مائدة « رع » وأربعة تمنع عدم تسرب القوى السحرية التى يحملها معه فى قبره ، وفيها ينتهى بقوله . انى ساحر . وفى التعويذة التى تمسك قلبه من الاعتراف بآثامه يقول . أيها القلب لاتقم شاهدا علي . هذه التعاويذ والرقى كانت تجمع وتباع لكى تدفن مع الميت . وكتاب الموتى هو فى الواقع مجموعة من هذه التعاويذ والرقى وماأليها من التسبيحات والاوراد التى كانت تكتب على اوراق البردى وتدفن مع الراحل لكى يمر على قضاة العالم الآخر بسلام . فهو ليس كتاب دينى فى المعني الذى يقصد من هذه الكلمة وانما هو مزيج من اشتات مختلفة جمع وعرف فيما بعد بكتاب الموتى . هو أثر جلى لعصر الانحلال الاجتماعى والدينى شبيه بعصر البابوات اذ كانوا يبيعون صكوك الغفران

وبانتهاء عصر الاقطاع وبالتوسع الامبراطورى نرى فكرة التوحيد تظهر وتبرز فى شكل

مجسم . والواقع ان التوسع الامبراطورى كان السبب المباشر فى بعث فكرة اله عالمى يشمل بعدله وحكمه العالم اجمع . ومن هذا نلاحظ ان الآله كان فى بادىء الامر اله قبيلة ثم اله مقاطعة ثم اله أمة ثم اله العالم والكون أجمع . وتطور فكرة الله هذه كانت مرتبطة بتطور الظروف الاجتماعية التى كانت تحيط بالمصريين القدماء وفى حكم امينوموب نرى ادراك المصريين للضمير والشخصية قد بلغ القمة

هذه الحكم ترجمت الي العبرية وكانت ينبوعا عظيم الاثر استمد منه مؤلف كتاب الأمثال جزءا كبيرا من كتابه

(٩)

ومن هذا العرض السريع للنصوص المتقدمة نتبين نشوء الاخلاق والشخصية عند قدماء المصريين ونرى أن هذا النشوء كان مبعثه الاختبار والتجربة الاجتماعية . هو وضع الهيئة الاجتماعية الذى صنع كل هذا

وهذا النظر الى الامور يفيدنا فى أمرين . الثقة بالانسان وبالقوة الكامنة فيه والامل فى مستقبل الانسانية وبعث النشاط الفكرى للبحث الحر والنظر الطلق الى الحياة

فدراستنا اذن لتاريخ مصر القديمة هي فى الواقع دراسة انسانية قبل أن تكون دراسة قومية

وفى هذه الدراسات قد رأينا الى أى حد بلغت العبقرية الانسانية فى الشعب المصرى القديم والى أي حد اندس هذا العقل المصرى فى الانسانية كلها فملأها وطغى عليها وطبعها بطابع ظاهر أو خفى نحن الآن خليقون ان نتلمس معالمه فى كل مكان . واذا كان هذا هو شأن العقل المصرى فلنا نحن الآن أن نستعيد الثقة بعبقريتنا الكامنه المتوثبة ، وأن نضع نصب أعيننا أن العقل المصرى الحديث جدير بأن يأتى بما أتي به العقل المصرى القديم من المعجزات . فهذا الضمير الانسانى الذى أشرق نوره فى مصر انما فتقته العناصر المصرية الصميمة . فهو نتاج النيل المصري وهو نتاج هذه الأرض السوداء الممتدة على جانبيه وهو نتاج هذه الشمس السافرة أبدا وهذه السماء الصاحية الضحوك . كل هذه العناصر التى نضج بين أحضانها الضمير الانسانى لم تتغير عما كانت عليه اذا عرفنا هذا كله وعرفنا الدم الذى يجرى فى عروقنا نحن المصريين المحدثين انما هو دم أجدادنا العظام أمكننا حينئذ أن نقول إن العبقرية كامنة فينا ستتفجر من جديد يوما ما وغاية ما نحتاج اليه هو أن نفلح الحديقة كما يقول فولتير

مبادىء الاشتراكية الثورية

ترجع إلى ألفين ومائتي سنة

نشر المستر ريموند بوستجيت بحثاً مستفيضاً عن الثورات الاجتماعية التى حدثت فى اسبارطه فى القرن الثالث قبل الميلاد . وقد رأينا أن ننقل هذا البحث إلى القراء لما حواه من المعلومات التاريخية القيمة . قال :

منذ ألفين ومائتى سنة كان العالم المتمدين يجتاز حالة شبيهة فى كثير من الوجوه بحالة الأزمة الحاضرة . ولا شك فى أن عناصر هذه الحالة لم تكن كعناصر الحالة الثورية ولكنها كانت على شبه منها . فوجود طبقة العبيد من جهة . وعدم وجود الآلات من جهة أخرى لا يمنعان من المقارنة بين الطرق الثورية فى ذلك العهد والطرق التى نشاهدها فى عهدنا هذا

والواقع أن المبادىء الثورية التى لاتزال قائمة حتى اليوم وضعت فى العصر اليونانى بعد التخبط المستمر والاخطاء المتوالية . ومما لاشك فيه أن المستندات التى لدينا عن التطور فى ذلك العهد هى مستندات ناقصة . فان « يامبولوس » الذى كان فى ذلك العهد ماركس أو روسو الثورة اليونانية لم يعرف إلا بفضل بعض الروايات والاستشهادات

والظاهر أن بدء هذه الاضطرابات يرجع إلى استيلاء الاسكندر على كنوز فارس . وقد كانت نتيجة تبديد هذا المدخر الهائل من الذهب والأشياء الثمينة التى انتشرت فى العالم اليونانى كان من نتائجها العاجلة الارتفاع الشديد فى أسعار الحاجيات المعيشية . وكان من نتائجه الثانوية اتساع تجارة الرقيق بدرجة هائلة وساعد على ذلك الحروب المقدونية وما ترتب عليها

وقد كانت لكل هذه الحوادث نتيجة واحدة وهى أن اليونانيين فى أغلبيتهم قد سادهم البؤس وتملكهم الشقاء . ولم يسلم من هذه النتيجة سوي كبار التجار الدوليين وأصحاب الضياع الواسعة الذين أثروا بدرجةهائلة أما الأشخاص الذين كانوا يشتغلون فى الأعمال المختلفة فانهم رأوا المحصولات تزداد غلاء بينما الأجور تسير فى هبوط مستمر . نظراً للمنافسة التى نشأت عن ورود العبيد الاسيويين بكثرة

وعدا هذا زاد الفارق بين الذين كانوا يزدادون ثراء على مر الأيام وبين العمال الذين كانوا يزدادون بؤساً وشقاء . وقد كان هذا التفريق الشديد بين الطبقات واتساع نطاق المبادىء الثورية ظاهرين بنوع خاص فى سبارطة

ويمكن أن نلاحظ ثلاثة أدوار فى هـذا التطور : الدور الأول هو دور « اجيس » الرابع وهو الذي يمكن أن يقال انه عهد الثورة السـلمية الدستورية والوطنية . والدور الثـانى هو دور « كليومين » الثالث وهو عهـد الثورة الوطنية ولـكنها أصبحت غير دستورية ومشبعة بعناصر القوة والاكراه . والدور الثالث هو دور « نابيس » الذى دخلت فيه الثورة فى النطـاق الدولى وأصبحت فيه البطقات تدرك هى كزها ومقام نفسها

آجيس

أصبح آجيس الرابع أحد ملوك سبارطه فى عام ٢٤٤ قبل الميلاد . وفى هذا الوقت كانت سبارطه فى حالة تشبه حالة البلاد الاوربية فى عام ١٩٣٥ من وجوه عديدة . فالتجارة الخارجية عقب حروب الاسكندر وما تبعها كانت قد أدت إلي شراء بعض التجـار الذين كانوا يملـكون مدخرات عظيمة من الذهب فضـلا عن العقارات المرهونة . فى حين أن عدداً كبيراً من الأهالى كانوا قد فقدوا أراضيهم وفقدوا فيها حقوقهم المدنية . ومع ذلك حتى الذين احتفظوا بممتلـكاتهم لم يكونوا فى حالة حسنة . لان التغيير الذى حدث فى نظام العملة اليونانية قد أدى الى استدانتهم فـكانت النتيجة أن سبارطة التى كانت فيما سبق قوية جـداً انتهى بها الأمر الى أن تـكون بلاداً محتقرة فى أعين جميع جيرانها الذين لم يترددوا فى القيام بغارات متوالية عليها . وقد اصبح المـلاك والمجالس فيها خيالات : لان السلطة الحقيقية كانت بين يدى طبقة التجار الذين أثروا

وقد حـدث غداة تولى « آجيس » العرش انه طلب العودة الى دسـتور « ليـكورجوس » الأصلى . واعتزم ألا يتبع سوى الطرق الدستورية والا يلجأ لغير وسيلة الاقناع السلمى . ولـكن اذا كانت الطرق بقيت سلمية فان الأغراض كانت فى الواقع أغراضاً ثورية

وقد طلب آجيس الاصلاحات التالية وهى : رد جميع الأملاك العقارية الى الدولة والغاء الديون وتوزيع الاراضى على جميع الأهالى وعلى الجيران من الاحرار الذين لايتمتعون بالحقوق المدنية . اما الأثرياء فان « آجيس » لم يحسب لهم أى حساب

وكانت الحماسة التى قوبلت بها مشروعات الملك شديدة جـداً . فان جميع الشبان انضموا الى مبادىء مليـكهم . وكان من الطبيعى أن يقف التجار الذين أثروا موقف المعارضة . ولـكنهم رغم كتسابهم ليونيداس الملك الثانى الى جانبهم فان آجيس انتصر فى النهاية اثر الاعمـال كثيرة لامجال لذكرها تفصيلا فى هذا المقام

وقد كان من اللازم بعـد ذلك تنفيذ الاصلاحات التى وضعت . فرأى « آجيس » من الواجب

استشارة السياسيين المحترفين وخاصة عمه « أجيسيلوس » وهو من أصحاب الضياع الكبيرة الذين اكتسبوا خبرة طويلة . وقد نجح « أجيسيلوس » فى اقناع ابن أخيه بأن اعادة توزيع الاراضى يتطلب زمناً طويلا . ولكن الغاء الرهنيات والديون الاخرى يمكن أن ينفذ فى الحال . وهذا ما كان يقوله له : « اصدر الأمر بالغاء الديون . واذهب مع جيوشك الى « كورنتوس » حيث تلزمك التعهدات الدولية بالذهاب اليها لتمنع غارة بيلوبونيزا . وعند عودتك تستطيع أن تنفذ الاصلاح الزراعى بكل هدوء وطمأنينة

وكان من شأن هذا القول أن تأثر « آجيس » ببلاغة عمه فالكمبيالات وأوراق الرهنيات كدست فى ميدان السوق الكبرى وأحرقت علانية . والتجار الذين ذهبت ثروتهم هاج هائجهم فغادروا الميدان وهم يسخرون من « أجيسيلوس » ولكن لم يعبأ بهزتهم لأن أملاكه التى كانت مرهونة أصبحت حرة من كل عبء

وقد سافر « آجيس » مع جيشه فى اتجاه الشمال . وفى هذا الوقت انتهت ثورته . فاستدعى « اجيسيلوس » وجميع أصحاب الأراضى ليونداس ميغالوبوس من المكان الذى كان قد هرب اليه أعلنوا أن مشروعات توزيع الاراضى هى مشروعات سخيفة وقد انتصرت المعارضة على طول الخط . فلما عاد « آجيس » ألقى فى غياهب السجن بتهمة خيانة الدولة وحكم عليه بالاعدام

جليــــومين

ويتصل الدور الثانى من أدوار الثورة بالدور الأول برابطة يندر أن تذكر فى تاريخ اليونان وهى ترجع إلى حكاية عرام . فان الملك ليونداس اعتزم ألا يدع شيئاً للقدر فأرغم ارملة آجيس على التزوج بابنه جليومين . واحتفل بهذا الزواج .وكان ذلك من أكبر الغلطات التى ارتكبها الملك. وبالرغم من أن هذه الارملة كانت فى البدء تعد هذا الزواج سفاهة مروعة . فقد انتهى بها الأمر إلى الهيام بزوجها الفتى الذى قابل الهيام بمثله

ولم يكن جليومين يتبع أباه فى آرائه فاقتنع بآراء زوجته ووعد بالمحافظة على ذكرى « آجيس » العظيم وذلك بأن ينفذ عند تبوئه العرش برنامج الاصلاح الاجتماعى الذى يقضى بجعل الاراضى ملكا عاما والغاء الطبقات

وبعد ثلاث عشرة سنة أصبح « جليومين » ملكا ولبث ثمانى سنين من تنفيذ مشروعه . وقد تولى رياسة جيوشه فى ميغالوبوس التى كانت تناصبهم العداء. فانتهز فرصة حالة الحرب وزحف في يوم من أجمل أيام سيارطة وقتل الافوريين وعشرة آخرين من ذوى الشخصيات البارزة كانوا يحاولون ابداء مقاومة . ونادي باعادة « عهد آجيس »

وقد ألغيت كل الديون التجارية . وألغيت الملكية الخاصة فى جميع الفروع . وبدل ان كانت ثروات البلاد بين أيدى مائتين أو ثلاثمائة من السبارطيين أصبحت بفضل الاصلاحات التى أدخلها جليومين بين أيدي بضعة آلاف

وما كادت الثورة تنتهى حتى عاد جليومين لاثارة الحرب على الحدود . فغزا بسرعة البليبونيز التى انضم سكانها إلى أرائه ومعتقداته بأمل أن يقوم بالثورة أيضاً فى البلاد التى غزاها . ولكنه لم يحقق هذا الأمل لانه اعتقد أنه ليس لسبارطه من مهمة فى الخارج سوى الغزو وبسط السلطان .

غير أن امبراطوريته لم تدم سوى سنتين لان سكان هذه المنطقة تمردوا واستعانو بانتيجونوس ملك مقدونيا الذي قضى على سلطة جليومين ففر إلى مصر لاجئاً إلى بطليموس الذي وعده بمساعدته ضد غريمه . ومع ذلك مضت السنون دون أن يحرك المصريون ساكنا . وقد قتل جليومين فى حركة أراد أن ينفذها بالقوة ففشل

نابيس

وليس لدينا معلومات كثيرة عن الدور الثالث من ثورة سبارطة الذي بدأ فى عام ٢٠٧ قبل الميلاد بعد أن تبوأ « نابيس » العرش . فالمؤرخ الوحيد الذى نستمد منه المعلومات عن هذا الدور هو بوليب . ولكن هذا العالم الذي يتحدث عن أنصار « نابيس » كلصوص وقتلة لايفيد التاريخ شيئاً كثيراً

ولأجل هذا لايسعنا أن نضع بياناً وافيا عن الثورة التى قام بها « نابيس » . غير أنه يؤخذ من شتات الروايات التى أمامنا ان هذا الملك نفذ برنامجه الثوري بقوة السلاح . فألغى الملكية الخاصة سواء العقارية منها والتجارية . وألغى الديون والرهنيات . وأقام المطاعم المشتركة . وألغى اختلاف الطبقات . ولأول مرة وضع السبارطيين والجيران وسكان الجزر فى مستوى واحد

ومن البديهى أن الاصلاحات القوية التى أحدثها نابيس رفعت سبارطة إلى مصاف الدول العظمى وكانت جيوشه تدخل النظام الجيد فى كل بلد تحل به خلافا لما كان يفعله جليومين . وقد أصبح أرجوس الذى كان عدواً قديما لسبارطة أخلص حليف لملكها الثورى

غير انه يظهر أن الحرب أضعفت الثورة . فقامت هيئة من اللصوص يتولى زعامتها اليكسامينوس وقد استطاع هذا الأخير أن يقتل « نابيس » فى مأدبة أقامها له . وانتهز غريمه « فليبومن » هذه الفرصة . وأعاد النظام الرجعى . وأعطى الأرض لألد خصوم السبارطيين . وباع جميع الذين كانوا يقفون أمامه كالعبيد .

نظرتنا الى العظمة

بقلم الاستاذ ابراهيم المصري

نحن شعب طامح الى الحرية والتقدم شعب يود أن يفوز بقسطه من المجد ويرغب فى أن يكون له أبطال كابطال الامم الكبيرة وعظماء كعظمائهم وأدباء كأدبائهم وحياة كحياتهم موفورة قوى الانتاج الوطنى والانسانى الخالد .

ولكننا فى مستهل عصر نهضة وفى بدء حركة تطور ماتزال ثقافتنا محدودة ، وآراؤنا فجه وعقليتنا ساذجة فطريه أشبه بعقلية طفل يتطلع الى ضوء الشمس الساطع فيبهره توهجه ويفتنه الاحساس به فيخيل اليه ان قد قبض عليه وحبسه بين راحتيه مادام يشعر بحرارته تغمره وتبعث فيه شيئا من النشاط والحياة .

نحن نتوق الى العظمة ولكن مظهرها وحده يكفينا اما الجوهر واللباب فآخر مانفكر فيه وآخر مانطمح الي معرفة سره وتقديره على حقيقته فكأن الشعور المجرد بالعظمة هو الذى نبحث عنه . أما العظمة نفسها فلا نحب أن نفهمها ولا نحب أن ننعم النظر فى مختلف جوانبها ولا نطيق التسليم بانها مزيج من القوة والضعف وانها ظاهرة انسانية تحمل ماتحمله جميع الظواهر الانسانية من خير وشر وحسنات وسيئات .

فالنابغة فى نظرنا نابغة على طول الخط والعبقرى عبقري على الاطلاق -

نحن لانرغب فى فهم الاشخاص على حقيقتهم وما دام المجتمع قد اتفق على أنهم عظماء وجب أن نرضى بهذه العظمة وان نقبلها على علاتها وان نصدق حكم الجماهير عليها وان نبذل جهد طاقتنا لاقرارها وتأييدها وأن نسرف فى هذا الاقرار وهذا التأييد ما استطعنا الي ذلك سبيلا .

وحجة البعض منا فى هذا الاسراف أننا اليوم أحوج مانكون الى تنمية روح العظمة فى نفوس الشعب ولو على أسس واهية . اذ من المحال أن تنهض الامة إلا متى أحست أنها عظيمة مجيدة وان ارضها تنبت العظماء وانها تساهم بقسطها الثقافى فى تطور الانسانية

وإذن ليست هى العظمة الصحيحة التى ننشدها بل خيال هذه العظمة وأثر هذا الخيال فى العقول والقلوب وما يمكن أن يحدثه هذا الاثر فى مستقبل الامة فكأننا نريد أن نبنى نهضتنا على النفاق . على المجد الباطل والشهرة الزائفة والحقيقة المنتهكة . والعواطف الداوية المحتدمة التى لاتلبث أن تبترد حتى تتبدد وتزول كأن لم تكن. ولكن هل هذا هو خير سبيل نسلكه لخدمة

الامة ؟ هل عبادتنا المظاهر وتأليهنا الناس وخضوعنا لحكم الشهرة وانكارنا الحقيقة ، وخوفنا من المجاهرة بها . فضائل تحتم علينا النهضة الذود عنها والترويج لها وغرسها فى عقول الشعب ؟

اني لا أتساءل أية أمة ناهضة أخذت بهذا ؟ وأية نهضة قامت على هذا ؟ وأى شعب راغب فى الحياة أقام حياته ومستقبله على الزيوف والاكاذيب ؟

من البدائه أن الاصلاح ينشأ من النقد النزيه . وأن التطور أساسه بحث وتحليل كل فكرة وكل عمل وكل عظمة لمعرفة جوانب القوة فيها وتقدير هذه الجوانب ومعرفة جوانب الضعف فيها والتنديد بهذه الجوانب ولفت الانظار اليها وتحذير الجماهير من الاغترار بها والتوجه بهم على الدوام نحو مثل من الكمال أعلى يظل ينمو ويتطور الى مالا نهاية

واذا نحن لم نقدر العظيم على حقيقته ولم نتناول أعماله بالنقد الصارم النزيه فكيف نرجو من الجيل الجديد أن ينهض وكيف نطلب اليه أن ينتج أعمالا أجمل وأروع وأكمل من أعمال ذلك العظيم . بل كيف نرغب اليه أن يتفوق على مانسميه الآن عظمة كى يبدع غيرها خيرا منها وأبقى ؟

ان كل نهضة كى تنمو وتزدهر يجب أن تقوم على حرية البحث والنقد وحرية الفكر والضمير وما الانتاج العقلى والمادى الذى نشهده فى الغرب والذى يتقدم باستمرار من حسن الى أحسن فيحقق بذلك معنى التطور إلا وليد تلك الحريات التى يعرف الغرب كيف يضعها فوق الاشخاص وكيف يقدسها هي بدل أن يقدس الاشخاص .

ان الغرب لايعرف النبوغ المطلق ولا العبقرية المطلقة ولا العظمة المطلقة . وكل عمل هناك خاضع للنقد . وكل عظيم بالغة مابلغت عظمته — لابد من دراسة أعماله وفحصها والمفاضلة بينها وبين سواها ووضعها فى المركز الجدير بها حتى لاتختلط القيم وتفسد المقاييس وتنتشر الفوضى فى تقدير الرجال والحكم على منتجات الفكر .

ولولا احترام الغرب للفكر الحر والنقد النزيه لما شعر العظيم الناشيء منهم بأن عليه أن يسد النقص الذى تركه العظماء السابقون والذى أشار اليه النقاد وحذروا من الوقوع فيه . بل لما شعر ان من واجبه التفوق على أسلافه واضافة الجديد الى ماخلفوه .

فالعظمة فى نظر أولئك الناس بشرية نسبية ولكن الكمال هو الشيء المطلق الذي تتدفق نحوه وتنصب فيه شتى الجهود . ومعنى ذلك أن العظيم ينتج فيحاسب علي انتاجه كفرد معرض للخطأ والصواب ولكن الكمال هو المثل البعيد الأعلى وهوالحافز للتطور وهو غاية الحياة القصوي أما الأمر عندنا فعلى النقيض .

لايكاد يظهر بيننا عظيم حتى نؤمن بكماله وعصمته كأنه نبي أو نصف اله . نؤمن به ايمانا ضيقا عنيدا متعصبا أعمى فلا نتسامح فى أى نقد يوجه اليه ولا نقر عظمة غيرعظمته ولا نعترف بعقل غير عقله . وتعصف بنا الدعاية الزائفة والشهرة المصطنعة والاجماع العام فلا تزيدنا إلا استمساكا به وتقديسا له حتى يستحيل شخصه فى أذهاننا الى شبه معبود نخر أمامه صاغرين .

وقد يزعم البعض أن فى هذا الاحساس قوة يستمد منها الشعب مجدا وحياة . ولكنى أقول ان هذا هو الذل بعينه بل هذا هو التبشير بالجهل والعبودية وغرس شعور العجز فى صدور الناس

و كلما ارتفع العظيم عن المستوى الانسانى وانقطعت الصلة بينه وبين الافراد وتمثل فى أذهانهم كمعبود له صفة القداسة والعصمة كان ذلك أدعى الى شعور النابه منهم بضعفه وعجزه ويأسه من استطاعته بلوغ أوج تلك العظمة فى يوم من الايام . ولعمرى أى نفع يرجى من العظيم اذا لم يعتقد كل فرد بان فى وسعه فهمه ونقده وتعرف مواطن ضعفه والاقتداء به لاستكمال نقصه والتفوق عليه . ولكننا نأبى إلا أن نضرب حواليه هالة من نور ونقيمه هو وأعماله فوق صرح الابد ونغض من أبصارنا عند النظر اليه وتنخلع قلوبنا وتتولانا رعدة كأن الصاعقة ستنقض علينا من أعلى الجبل إذا نحن كفرنا بذلك الاله أو تشككنا فيه

ولكى تتحقق أيها القارىء من شيوع هذا الاحساس المريض ماعليك إلا أن تغشى مختلف حفلات التأبين والتكريم التى تقام فى مصر للعظماء وأشباه العظماء

عبثا تبحث فى كل مايقال فيهاعن صورة صادقة لشخصية العظيم الذى يؤبنونه أو يحتفلون به . ضجة كبيرة ، هرج ومرج ، وجهاء وأعيان ، أضواء كهربائية ، وملابس رسمية ، هتاف وتصفيق للالفاظ ودائما الالفاظ وابدا الالفاظ . يطلع عليك أحد الشعراء بقصيدة فيبكى ويستبكى على خير الرجال ونابغة الاجيال وعبقرى عباقرة العصور . فيخيل اليك أن العظمة كلها اجتمعت فى الفقيد وانه لم يترك بعده قولا لقائل وانه نبي الادب وخاتمة الكتاب والشعراء

ويطلع عليك أديب عابس الوجه وقور الطلعة جهير الصوت فيلوح لك أول الامر أنه قد يتناول المسألة من ناحيتها الجدية ولكنك سرعان ماتسمعه يقول ان الفقيد بز شكسبير فى أدبه وصرع هوجو وأجهز علي بيرون ورفع فى العالم أجمع اسم مصر والشرق عاليا .

وفى خلال كل هذا الكلام تتهاوى الكواكب . وتسقط الشموس . وتنخسف الارض وتقف دورة الافلاك ويعم الدنيا ظلام دامس . لماذا ؟ لأن العبقرى المزعوم مات . فمن واجب

عليها أن تموت معه . ومن واجبنا نحن أيضا أن نموت ، وأن نؤمن بان لاحياة بعد فقيدنا ولا مجد ولاعظمة ولا نبوغ .

وأنت قد تلتمس العذر لأولئك الشعراء والخطباء فتقول انهم جهلة مساكين أوطلاب شهرة أو دخلاء ادعياء أوأنصاف متعلمين اطاحت الحماسة برؤوسهم ولكن ماظنك بذلك الشاعر النابه حقا أو ذلك الاديب الواسع الاطلاع الموفور الثقافة الذي يخون فكره وضميره ويختال ويتبذل ضاربا على نفس النغمة مراعاة للموقف واستجداء لهتاف الجماهير . بل ماظنك بذلك الشاعر صاحب الشخصية المحترمه المشهود له بالتفوق والذى يقول كلاما كهذا يعلم حق العلم انه كذب فى كذب وخداع فى خداع؟

على ان الجمهور يتقبل مايلقى اليه فى حماسة جنونية . لايطربه غير الكذب ، ولا تستفزه غير المبالغة ، ولايستثير هتافه وتصفيقه غير الامعان فى الملق والرياء . وكلما تملقه الشاعر أو الخطيب وكلما أسرف فى تمجيد العظيم وتأليهه ازداد شعور الشعب نفاقا وزهواً وخيل اليه ان هذه العظمة تنبع منه وترتد اليه وأنه صاحب الفضل فيها فيفقد اتزانه ويختبل ويضج بالصياح والهتاف .

هذه طريقة التأبين والتكريم عندنا تفيض على العظيم بآيات المدح وتظل تراكمها عليه حتى تغيب شخصيته الحقيقية فى غمارها فاذا ماافتقدناه بعد ذلك لم نجد له من أثر . فكأننا عملنا على تهزيئه بدل تكريمه وعلى قتله بدل احيائه . .

والواقع اني لم أخرج من معظم حفلات التأبين أو التكريم التى شاهدتها إلا وقد شعرت أبلغ شعور باننا قتلنا العظيم وشيعناه الى غير عودة بمختلف مظاهر المزؤ . .

فهل هذا هو تقديرنا للعظمة . وهل بهذا الأسلوب نربى الافراد على احترامها وحبها والاقتداء بها . وهل نرجو من الكذب والمبالغة والملق أن تبتعث فى صدور الناس الاحساس بالعزة القومية الصحيحة ؟

ما كل ذلك فى الواقع إلا ضروب من المهازل الفاجعة تقتل الهمم وتذل النفوس وتفسد الأذواق وتسمم العقول وتحط من أقدار الرجال وتنمى فى الجماهير غرائز العبث والاستهتار والكبرياء القومية الزائفة والنعرة الوطنية القائمة على غير أساس من الصدق وتحرى الحقيقة .

وصفوة القول أن أمثال تلك الحفلات لاتقدم النهضة بل تؤخرها . ولا تحيي ذكري العظيم بل تقتلها . وان خير تقدير للعظمة هو أن تقرب مسافة الخلف بيننا وبينها ، أن ننظر فيها على حقيقتها ونصارح بما لها وما عليها ولا نخشى فى ذلك العرف القائم ولا الشهرة الوطيدة ولا غضب الجماهير . وهكذا نخدم البلاد الخدمة الجليلة وندفع بعجلة التطور الي الامام .

ابراهيم المصرى

أخي

(نظم هذه القصيدة الاديب المعروف ميخائيل نعيمة ، وهي تنطبق على الحالة العامة في هذه الايام ، وقد أوشكت الحرب أن تشتبك أسنتها)

أخي إن ضج بعد الحرب غربي بأعماله
وقدس ذكر من ماتوا وعظم بطش أبطاله
فلا تهزج لمن سادوا ولا تشمت بمن دانا
بل اركع صامتا مثلي بقلب خاشع دامي
لنبكي حظ موتانا

أخي إن عاد بعد الحرب جندي لاوطانه
وألقى جسمه المنهوك في أحضان خلانه
فلا تطلب إذا ما عدت للاوطان خلانا
لان الجوع لم يترك لنا صحبا نناجيهم
سوى أشباح موتانا

أخي إن عاد يحرث أرضه الفلاح أو يزرع
ويبني بعد طول الهجر كوخا هده المدفع
فقد جفت سواقينا وهد الذل مأوانا
ولم يترك لنا الاعداء غرسا في أراضينا
سوى أجياف موتانا

أخي قد تم ما لو لم نشأه نحن ما تما
وقد عم البلاء ولو أردنا نحن ما عما
فلا تندب فأذن الغير لا تصغي لشكوانا
بل اتبعني لنحفر خندقا بالرفش والمعول
نواري فيه موتانا

أخي من نحن لا وطن ولا أهل ولا جار

إذا نمنا ، إذا قمنا ردانا الخزي والعار
لقد خمّت بنا الدنيا كما خمّت بموتانا
وهات الرفش واتبعني لنحفر خندقا آخر
نوارئ فيه أحيانا

ميخائيل نعيمة

معبد الذكرى

« ما هذه الانفاس الحارة التى تهب من بين ثنايا هذه الغابة المصغية ، آه انها أنفاس الحب وها هى ذى النباتات يعانق بعضها بعضا كأنها تدعونا نحن الاخرين للعناق »
س . ت . كولريدج

معبد الذكرى أتينا خاشعين نسكب الدمع على الماضى الدفين
معبد الذكري سلاما كلما هاجت النفس تباريح الحنين
أين أمسى ؟ هل مضى أمسى فى لجة الذكرى وأمواج الانين ؟
أم طواه الحزن فى ظلمته ورماه اليأس فى وادى الشجون

* * *

ذكريات الامس لاحت شبحا طارقا فى غفلة الدهر الخؤون
وكان الليل أضحى نغما رن حسنا فى دياجير السكون
فأصاخ الكون للحن الذى ردد الافق صداه بعد حين
وأخو الظلماء يرنو ساهرا يتنزي فى ذهول الناسكين

* * *

أيها المعبد إنى جاثم فى ظلال الصمت والحب الطعين
أرهف السمع لخطوات الردى تابعتها فى الدجى أسرى القرون
فاذا صمتك ألحان المنى واذا لحنك أنات الحزين

حسن محمد حبشى

إذا نمنا ، إذا قمنا ردانا الخزي والعار
لقد خمّت بنا الدنيا كما خمّت بموتانا
فهات الرفش واتبعني لنحفر خندقا آخر
نواريُ فيه أحيانا

ميخائيل نعيمة

معبد الذكرى

« ما هذه الانفاس الحارة التي تهب من بين ثنايا هذه الغابة المصغية ، آه انها أنفاس الحب وها هي ذى النباتات يعانق بعضها بعضا كأنها تدعونا نحن الاخرين للعناق »
س . ت . كولريدج

معبد الذكرى أتينا خاشعين نسكب الدمع على الماضى الدفين
معبد الذكري سلاما كلما هاجت النفس تباريح الحنين
أين أمسى ؟ هل مضى أمسى فى لجة الذكرى وأمواج الانين ؟
أم طواه الحزن فى ظلمته ورماه اليأس فى وادى الشجون

* * *

ذكريات الامس لاحت شبحا طارقا فى غفلة الدهر الخؤون
وكان الليـل أضحى نغما رن حسنا فى دياجير السكون
فأصاخ الـكون للحن الذى ردد الافق صداه بعد حين
وأخو الظلماء يرنو ساهرا ينتزي فى ذهول الناسكين

* * *

أيها المعبد إنى جاثم فى ظـلال الصمت والحب الطعين
أرهف السمع لخطوات الردى تابعتها فى الدجى أسرى القرون
فاذا صمتك ألحـان المنى واذا لحنـك أنات الحزين

حسن محمد حبشي

من روائع الادب الفرنسي

الـــــــبر

« تأليف جان شارل نوديه وتعريب وليم محارب »

كان توريرى أمير طهران كثير الغنى غزير العلم وكان معروفا بالعقل الراجح والفكر السديد وكان له قصر نقش على الرخام والاحجار الثمينة فيه مايشبه الشجر والزهور وحدائق بلغ من بهاء زهورها وأشجارها أنها كانت تحاكى الاحجار الكريمة . وكانت له نساء جميلات لم يكن يطالبهن بأكثر من أن يكن فاتنات جميلات الزى فلم يكن يغضبه أن يجدهن ضعيفات الادراك أو متقلبات المزاج . وكان له شعراء لا يطلب اليهم اكثر من أن ينظموا الشعر كلما جال بخاطرهم معنى ولم يكن يغضبه أن يكون هذا الشعر ركيكا . وكان له فلاسفة لم يطلب منهم سوى أن يتناقشوا معه فى طبيعة الله وأصل الكون ولم يكن يغضبه أن يقدموا بعض الاحيان حججا غير معقولة ..

فى صبيحة يوم من أيام الربيع كان توريري يتمشى فى الشارع الرئيس ببغداد وكانت أكوام البرتقال وطاقات الزهور والثياب المتعددة الالوان من أزرق وأحمر وأخضر تلمع فى الطريق بينما كانت تطل من أسوار الحدائق زهور « المانوليا » وتغنى المياه فى أحواض النافورات غناء عذبا .

والفتيات كن كأزهار مبللة نثر عليها الندى البارد وفاح منها شذى عطرى خفيف . من أجل هذه الالوان وهذا الشذى بل هذا المرح الشامل أحس توريرى ، الحكيم أن جسمه يعاوده الشباب وتذكر بلذة أيامه الخالية ولم ير فى الدنيا شيئا يصح الاعتراض عليه بل لقد كان يعتقد أن الحياة كلها خير حتى أوشك أن يصيح « ياله من جو دافىء جميل ويا جمال الشمس الساطعة البهية ويا لفتنة الحياة .. »

قابل فى طريقه فتاة فى الخامسة من سنيها شقراء الشعر باسمة الثغر موردة الخدين مرتدية جلبابا أبيض جميل . نظرت اليه من خلال جدائل شعرها المتناثرة وأصبعها فى فمها وبدا عليها أنها تعجب بلحيته الطويلة أو قد يكون بمنظر الحيوانات العجيبة التى نقشت على عباءته ولانها كانت جميلة انحنى اليها توريرى وقبلها وأعطاها قطعتين من الذهب .

بعد ذلك قابل غلاما فى العاشرة من عمره كان قبيح المنظر رث الثياب يغطى وجهه « النمش » الى طرف أنفه المجمد وقد فقدت عيناه بريقهما فبدتا كالماء العكر . مد يده وقال بصوت خافت لكن يسمع درسا ويفكر فى شيء آخر ان أمه طريحة الفراش وأن له سبعة أخوة صغار وأنه لم يذق الطعام ثلاثة أيام فقطب توريرى حاجبيه وأعطاه قطعة من الذهب . وبعد عشرين خطوة رأى متسولا طاعنا فى السن مقعدا مقطع الثياب تعس الحال كالكلب إذا ضرب . ذقنه صفراء كأنها لوفة قذرة وعيناه محتقنتان خاليتان من الاهداب كشقوق تينة زاد عليها الاستواء قال هذا المتسول بصوت أجش كأنه منفاخ مقطوع « ارحم فقيرا لم يعد يستطيع العمل والهنا أرمز يجازيك خير الجزاء » وجعل يكرر هذه الجملة كلما انتهت . دون انقطاع وفاحت منه رائحة الخمر. مد توريرى يده بقطعة من الفضة ولكن من بعيد حتى انها سقطت على الارض واضطر المسكين أن يجثو ليلتقطها

وبعد دقائق صادف توريرى امرأة لايستطيع المرء أن يعرف اذا كانت صغيرة أو مسنة وعلى كتفها طفل حديث الولادة مغطى بالبقع والقرحات وتبعته وهى ذليلة كتراب الارض منحنية حتى انه لم يستطع أن يرى عينيها وجعلت تغمغم دعاء ملحا بصوت ضعيف فأسرع توريرى الخطى من المضايقة ولكن تلك التعسة الشاكية ظلت تسير وراءه فبحث فى حافظته فلم يجد مابحث عنه وأخيرا قذف لها ببعض قطع نحاسية .

وعلى قيد ثلاثين خطوة منه رأى رجلا مبتور اليدين والساقين مسندا الي حائط وكان الرجل يغنى بحزن بصوت مبحوح ولكنه عال حتى بدا كأنه صوت فى غابة أو أنه أغنية حب من أغانى النعيم المملوءة زهرا وطيرا وشمسا ضاحكة ولكن سماعها شنيع . وقف توريرى لحظة ولما تبين أن الرجل لم يستطيع أن يتبعه تظاهر بأنه لايراه ومر على الجانب الآخر من الطريق وتابع مسيره قليلا ولكنه لم يكن يستمتع بلذة الحياة فقال بصوت مرتفع ان هذه الشمس المشرقة لاتطاق وقفل راجعا الى قصره . . .

واذا تأمل قليلا نادى وكيله وقال له « إذهب الى الشارع الرئيس فسوف تقابل شحاذا مسنا أعطه قطعة ذهبية ثم امرأة فقيرة ترضع طفلها أعطها قطعتين ثم رجلا مبتور اليدين والساقين أعطه ثلاث قطع . »

ومنذ ذلك اليوم كان كلما خرج توريرى الى المدينة يسبقه خادمه ليوزع على جميع الشحاذين نقودا ثم يأمرهم بالتوارى حتى لا يراهم سيده .

وازداد توريرى الحكيم على الايام برا واحسانا حتى ان المرء ليحسب أنه قد [illegible] في طهران فقيرا واحدا . فكان يوزع المال والطعام يوميا عن الذين يقدمون أنفسهم فى الصا السفلى من قصره وأنشأ مستشفي للاطفال وآخر للمسنين وثالث للامهات ورابع للمرضى

وحينما كان يقال له ان شخصا تظاهر بالمرض فنال الاحسان بالحيلة كان يجيب « أتركونى هدوء فليست لى لذة فى البحث عن الحقيقه وتمييزها عن الخداع »

وأنفق فى هذا السبيل ولمنفعة الآخرين أكثر من تسعة أعشار ثروته الهائلة فاضطر أن [illegible] أفراد حاشيته فابقى أصغر النساء سنا وأكسل الشعراء وأكثر الفلاسفة كبرياء وفيما عدا ذلك عيشة ناعمة بين أروع ما أنتج الفنانون والصناع ورجال الفكر .

لم يزر قط المستشفيات التى شيدها ولم ينزل قط الي الصالونات التى يطعم فيها الفقراء كان يسير يوما فى المدينة هرع اليه حشد من هؤلاء الفقراء وهتفوا بأنهم مدينون له بحياتهم وجثا الكثيرون منهم وقبلوا أطراف ثوبه . ولكنه غضب ! كأن عرفان الجميل هذا اغاظه وآلمه !

كان الناس ينظرون اليه كأنه أكثر من عاشوا فى فارس جدارة بالاحترام والتبجيل

وحينما أدرك أن نهايته قد اقتربت طرد جميع الفلاسفة والشعراء وأبقى الى جوار سريره فتاة جميلة فى السادسة عشر متوسلا اليها ألا تقول له شيئا ولكن فقط أن تنظر اليه بعينيها الزرقاوين الفاتنتين . . .

ثم مات . . . فشيعه جميع فقراء بغداد بين البكاء والنحيب .

فى الأزلية . فى اللانهائية . فى اللا كونية . أين ؟ لا أدرى ولا يدرى أحد مثلت روح توريرى أمام الآله أرمز لتحاسب فسأله الآله « ماذا صنعت على الارض وما هى أعمالك ؟ »

وإذ كان توريرى مطمئنا الى الجملة القادمة أجاب فى خشوع واخلاص « كنت ضعيفا بلا شك إذ لم أكن سوى « انسان » لقد شغفت بالنواحى الجميلة من الحياة — بالالوان الجميلة بالاصبوانيم بالعطور وبالصالات البهجة . ولكنى أسست أربع مستشفيات على نفقتى وأعطيت تسعة أعشار ممتلكاتى للفقراء وأبقيت لنفسى العشر فقط »

فأجاب أرمز « حقيقة أنك لم تكن شريرا فلطالما حركتك عاطفة الشفقة ولكن مع هذا لن تدخل نعيمى هذه المرة ولكن روحك ستتقمص شخصا آخر وتعيش عيشة أرضية عن ذنبك وتتعلم . . »

فتعجب توريرى كثيرا ثم سأل « أى ذنب هذا الذي أكفر عنه يا إلهي ؟ . .

« ارجع لنفسك وتعرفها جيدا . فاذا كان شعورك حينما أعطيت ممتلكاتك للفقراء . وذلك اليوم الذى قابلت فيه الشحاذ العجوز المرأة الشاحبة ومعها طفلها والرجل المبتور الذراعين والساقين ماذا شعرت فى قلبك ؟ »

فأجاب توريرى « شفقة كاملة على الالم الانسانى »

فأجابه أرمز « أنت تكذب . كان منظرهم قبل كل شىء مفاجأة مكروهة لك انها ذكرتك بشكل قاس بوجود البؤس والتعاسة فكرهتهم لأنهم آلموا ناظريك بقذارتهم ودمامتها وكرهتهم أيضا لذلتهم وذلك الخنوع الذى توسلوا به اليك وذلك الاصرار فى توسلاتهم فأحسنت اليهم ولكن مشمئزا انك كرهت هؤلاء التعساء كثيرا حتى أنك لم تطق تشكراتهم وثناءهم المتدفق دون تنميق . وشعورك الرقيق . . !

أبى على هؤلاء البؤساء أن يعربوا لك عن عرفانهم للجميل وانهم ليسوا جديرين بفضلك وخيرك . . . »

فأجاب توريرى لم أكن أكره الفقراء بل كنت أكره الشقاء والشر وأهريما عدوك الازلى

فأجاب أرمز أنا هو أهريمان

— بل أنت الآله

— انى آهريمان لانى أرمز فالخير وليد الشر والفضيلة بنت الرذيلة —

— أفهذا يا إلهى أحسن ماعندك ؟

— لاتكفر .. سوف ينقشع الشر . انه كائن فقط لينتج الهناء والفضيلة . فى يوم البعث حينما تزول هذه الدنيا التى أجريت عليها هذه التجربة وحينما تكون أرواح الابرار فى قبضة يدى يزول الشر وكأنه لم يكن

فأجاب توريري : ان منطقك صورى محض فأى نتيجة يمكن أن تستخلصها من حالتى أنا ؟ وما هو الشعور الذى يمكن أن يخالجنى حينما أرى مخلوقات وضيعة ؟ وماذا على نحوهم ألا أن أخفف من ويلاتهم . .

— لاجل أن تتعلم هذا سوف أرسلك ثانية الي الارض

— ولكن يامولاى . . .

وقبل ان يكمل توريرى كلامه اختفى أرمز واختفى توريري . . . .

* * *

لايمكن أن تكون هناك حياة أبسط ولا أشقى من حياة « تيرورو » لقد ولد فى اسكاب من أبوين معدمين وفى طفولته كان يتغذى على الكفاف وكثيرا ماضرب ولما شب تعلم حرفة كانت تدر عليه قوته ولكن بعد جهد وعناء كانت له بعض فضائل الرجل الفقير فقد كان أمينا وطيبا وخاضعا ولكن لم يكن له الكبرياء ولا الذوق السليم وهما ترف الروح .

تزوج لكى لايكون وحيدا . وطالما فشل فى الحصول على عمل وماتت زوجته وطفلاه فى بؤس وأخيرا سقط يوما على « الصقالة » ولم يجد العناية الكافية فعجز كلتا ساقيه وشلت أحدى ذراعيه وأصيب الآخر بجرح مزمن فاضطر أن يشحذ . . . لم ينجح فى بادىء الامر فقد كان يشعر بالعار ولم يكن ليتجرأ على الالحاح لذلك قلما نال شيئا . . .

وشيئا فشيئا تعلم كيف يمد يده وكيف يتذلل ويتابع المحسن مسرفا فى الالحاح فاستطاع منذ ذلك الحين أن يتحصل فقط على مايحول دون الموت جوعا .

وإذ لم تكن له لذة فى الحياة كان حصل علي دريهمات قلائل أنفقها ليسكر نفسه بأحط أنواع الخمر

* * *

بالقرب من مأوى تيريرو كانت تسكن فتاة فقيرة وكثيرا ما كانت تره فتحنو عليه وكانت تذهب كل صباح لتغسل جراح تيريرو وترتب فراشه وتجهز طعامه وتصلح من ثيابه المهلهلة دون أن تطلب جزاء أو شكورا . . . .

* * *

فى ذات يوم وقد كان تيريرو يمارس مهنته كالمعتاد رمى له رجل غنى قطعة ذهبية ولكن بازدراء عظيم . . وفى هذه اللحظة سمح الاله أرمز لروح تيريرو أن تتذكر أنها روح توريرى .

فلما رأى تيريرو ماتنم عنه نظرة الفتى المتصدق من الكراهية والاحتقار فهم جيدا لماذا عاقب الآله أرمز روح توريرى . وعلم جيدا أنه فى حياته السالفة وان كان أعان الفقراء إلا أنه أبغضهم لانكسارهم وفقرهم أو بمعنى آخر كرههم لجريرة يجب ألا يسألوا هم عنها .

وفى صبيحة اليوم التالى حضرت كريكا لتغسل جراحه كالمعتاد فاستوعبها جيدا فرأى أنها

تؤدي الخدمة بدون ضجر أو احتقار وأن عينيها كانتا وادعتين ومطمئنتين وأدرك أن الفتاة التى تعتنى به ولا تتأفف منه — رغم أن منظره كان كريهـا حتى الى زملائه — هي هي الطيبة حقا . والمحسنة حقا . ولما انتهت من تضميد جراحه قبل يدها وبـكى . . . وجزاه أرمز خـيرا بأن اختطف روحه فى تلك الليلة .

* * *

« ماذا فعلت ؟ » هذا هو السؤال الذى واجه به أرمز الروح أو توريرى — تيريرو —

— تعلمت يا إلهى أننا يجب أن نخدم الفقراء فى الفقر . يجب أن ندخل الي أعماقهم فنخفف عنهم وألا نزد ريهم لذواتهم وضيق تفـكيرهم الشيء الذى نحن أنفسنا معرضون له لو أحاطت بنـا ظروفهم بعينها . وأن نحبهم على الاقل لطاعتهم وقناعتهم هؤلاء الذين يكونون الجزء الا كبر من البشر والذين لو تجمع غضبهم لمحا الاغنياء كما تذهب بالهشيم الريح وأخيرا يجب أن نتعرفهم جيدا علنا نجد بنفوسهم بقية من الشرف والـكبرياء يجب أن نثابر على خدمتهم كما نثابر على خدمة أنفسنا . يجب أن نهب أنفسنا لرفع البؤس عن الآخرين ولو ترتب على هذا بعض الالم لنا . واذا أردنا أن نخفف عنهم فيجب أن نفعل هذا بدون تذمر أو ملل ولـكن نقبله كما نقبـل أى شيء منه هو الذى يعلم وحده علة كل شيء لان هدف العالم هو ليس الجمال بل الخير . . .

فأجاب . أرمز لا بأس بهذا أدخل أيها العبد الى الراحة الابدية . . .

وليم محارب



الضمير

بقلم الدكتور ابراهيم ناجي

حدثنى صديقى الطبيب وهو ينفث دخان سجارته ، قال : فى سنة ١٩٣٢ كانت الحمي المخية الشوكية منتشرة فى مصر انتشارا مريعا ، وقد ذهب كثيرون من أعزائنا ضحية لها . مدت جناحيها على القطر كعقاب كبير مخيف ، كغمامة قاتمة تنشر ظلاما تسرى فيه أشباح القلق والرعب والظنون ، كانت عدوا أخذ الناس على غرة ، وكانت لصا تسلل الى بيوتهم وسرق أعز من لديهم كانت ريحا كئيبة نواحة هبت عليهم ، لا يعرفون من أين ؟ ولماذا ؟

وكانوا يجهلون أعراضها بالرغم من نشرات مصلحة الصحة ، فمن شكا صداعا حسبها هي ، ومن أصابه زكام تمثل له شبحها ، ومن مر به أى عارض من الالم أسرع الى طبيبه قلقا مرتاعا

أما الفقراء ، أما أولئك الذين ليس لهم أطباء ولا ما يوصلهم الى الاطباء فقد اجتاحهم السيل وجرفتهم العاصفة

ثم ضحك الطبيب ضحكة رقيقة ، وقال : أترى هل كان يعنينا الشاعر بقوله :

« مصائب قوم عند قوم فوائد » فقد تزاحم المرضى على بابي وصرت أرى الوجوه التي انقطعت عن زيارتى طويلا . كان الناس يتوهمون المرض ويرون خيال الحمي الشوكية فى كل طارىء تافه فيهرعون الى راجين الطمأنينة والامان ولا أنسى ما حييت مساء حافلا بالحوادث تأخرت عن موعدى العادى فى استشارة بالزيتون وعدت فوجدت كثيرين ينتظرون بعضهم يتطلعون ويترقبون قدومي وآخرون يسألون الممرض « التمرجي » الف سؤال فى الدقيقة . هل أتأخر طويلا ؟ انهم يألمون أن لديهم شغلا . وآخرون تعودوا الانتظار فمرت بهم ساعات فى غير ملل وآخرون تركوا مقاعدهم ووقفوا فى البهو ليحيطوا بي عند قدومي ويمطرونى وابلا من الاسئلة ، ويقتحموا باب غرفتى الخاصة ، دخلت مسرعا وأعطيت حقيبتى للتمرجى الذى تلقاني مقطبا وجهه وفى نظرته عتاب صامت وهو لايدرى أن الحوادث تألبت على وتحالفت على أن تؤخرني عن مرضاى بكل الطرق فقد طالت استشارة الزيتون بغير مناسبة ووقفت السيارة لحادثة فى الطريق ومرتين « للكاوتش » الذى بقى فى حفظ الله وصونه عامين ولم يشأ أن يفرقع الا فى ذلك اليوم

دخلت البهو عدوا فاذا الدكتور « صبار » بين الواقفين فى البهو فمشى الى فى قلق مزعج وصاح بى وقد نسي أن يصافحنى « عاوزك حالا تشوف ابنى » فسمع الحاضرون هذا القول وسرت موجة

من التذمر من شخص لآخر كما تلقي حجرا فى الماء فينداح دوائر فى لجج متعاقبة ، أما أنا فحرت بين الوفاء للصديق وبين ذلك البحر العابس القلق المنتظر على أني قلت ألا يمكن أن تصبر قليلا فصاح مضطربا انها حمى شوكية انه ابنى الوحيد — عند ذلك التفت للتمرجي فى حزم وقلت يازكى أنا ذاهب مع الدكتور «صبار» وسأعود بعد قليل فمن له رغبة فى الانتظار فلينتظر وأخذت صديقى الدكتور من ذراعه أسحبه سحبا وفى برهة وقف عند باب منزله

كان الدكتور صبار زميلا لى فى مدرسة الطب وكنت أحبه ، أحبه بكل عيوبه لقد كان غبيا غباوة كاملة وكان نحيلا ضيق الجبين حريصا حرصا معيبا وكنت أجد عناء فى شرح أبسط المسائل له لا أزال أكرر اليوم ما حفظته أياه أمس ولا أزال أعيده له حتى اذا استيقنت حفظه تركته فاذا عدت أسأله لم أجده يعى شيئا . وكان شديد الجلد على القراءة متين الجسم وافر القوة يذاكر أضعاف ما نذاكر على أن المسكين كان دائما آخر قائمة الناجحين لم يتخلف عن هذا الترتيب مرة ولكنى أحببته لانه كان لا يكذب ولا يرائي ولا يدعى كان اخلاصه نادرا فقد كنت أقسو عليه فى غير هوادة ولا رفق فيعبس قليلا ثم تنفرد أساريره ولا تمر غمامة بقلبه الطيب

الدكتور ابراهيم ناجى

على أن من أعاجيب الزمن انه بعد ما تخرج كلانا واتاه الحظ والحظ لاشأن له بالمواهب فجمع ثروة طائلة فى سنوات قليلة وكان كلما لقينى ضحك قائلا « عملت ايه بشطارتك » انى اعالج كل شيء بسلفات الصودا والكينا والكونياك . وأنت تعالج بأحدث الادوية مسكين يابنى

وتزوج من فتاة ثرية وما زال يقتر عليها حتى قضت نحبها فى عام زواجها تاركة له غلاما هو بطل قصتنا اليوم

وقفنا أمام المنزل الذي اشتراه الدكتور صبار « لقطة » بثمن بخس غير معقول ودخلنا على أثاث فخم دخلت له به العروس الشهيدة وكان الطفل نائما حين دخلنا وقد وقفت بجواره خادم قذرة استجلبها صبار من البلد لتقوم وحدها بخدمة ذلك البيت الضخم . وماذا يهمه ؟ اليست رخيصة

وتقوم بخدمته وطفله ؟ على كل حال . أما أنا فذعرت حين رأيتها . ذعرت لان أم مصطفى القذرة تقوم بتمريض طفل مريض بالحمى الشوكية على أنى كظمت غيظى . استيقظ الطفل عند دخولنا وبكى وصاح بأبيه فجرى اليه صبار وثبا . وأنا والد أعرف الطفل عند أبيه وأنه بضعة منه صارت مستقلة وبقيت متصلة بروحه لا بجسده فاذا تألمت لم يشعر بعذابها فى جسمه بل فى صميم روحه فطفر الدمع الى عيني ولم اشتمه لاجل الخادم القذرة وفحصت عن الطفل فلم أدع صغيره أو كبيرة الا كشفتها وأخيرا علتنى صفرة الوجل وخاننى ثباتى وتخاذلت أعصابى اذ لم يكن لدى شك أنها هى الحمي الملعونة ومن نوع خبيث قاتل . حرارة الاتون المتقد وقلب ضعيف وظهر كقطعة الحجر الصلد وقىء مستمر وعنق الى الوراء فى تصلب . صبار وقد رأى فزعى (ما فيش فايده فيه) قلت وقد تمالكت شعورى . أم مصطفى ما تنفعناش عايزين ممرضة حالا . فلاح له خيال الممرضة التى ستتقاضى جنيها فى الليلة ووقف شبح البخل حائلا فلم أرد ضياع الوقت فى جدال فقلت وأنا سأدفع لها حسابها إذ لا فرق بيننا فانبسطت أساريره وقال « احنا واحد »

وجاءت الممرضة وسهرنا عليه وحالته تزداد سوءا « أعطيناه المصل » وبذلنا كل ما وصل اليه الطب قديما وحديثا ولكن الحمى كانت طاغية

وكان غلاما ظريفا ورث كل ما كان فى أمه من رقة كان عندما تشتد الحمى يخيل له أن عدوا يخنقه فيدفعه بيديه . تدور عيناه فى محجريه حائرتين وكان يحسب أنا نحن الذين جلبنا له ذلك العدو فيعبس فى وجوهنا ويأبى مخاطبتنا وما زال المرض يطغى ونحن نضاعف الجهد الى أن جئت ذات ليلة أعوده فوجدت صبارا كالهيكل المحطم استرخى جسده الجبار وظهرت تحت عينيه زرقة كالسحابة على اصفرار كورق الخريف الحزين بصرت بالطفل يتشنج تشنجا غير مألوف فيما أعلمه من أمر الحمي الشوكية . صحت لا هذه ليست تشنجات الحمى وصحت بأعلى صوتي غاضبا « صبار ماذا فعلت يا تعس هذا تسمم بالاستركنين هل أعطيته خطأ أجب فورا » فأجابنى بصوت كفحيح الافعي « جرعته السم لاريحه من عذاب لافائدة فيه » فلم أنبس بحرف واحد وتركت المنزل كأنما أهرب من حريق يلتهمه

وفى اليوم التالى مرت جنازة صغيرة تحت نافذتى وبعد أسبوعين استدعيت لاعود صبارا فوجدته يهذي قائلا « يا أبي لم قتلتنى » ؟

وعلمت من أقاربه أنه بعد موت طفله استدعى لحالتين شبيهتين لحالة الطفل تماما وعندما وصل الى اليأس من الله عليه بالشفاء فصار صبار كلما نام زاره طفله مرتديا ثوبا أبيض وصاح «يا أبي لم قتلتنى »

فما لبث صبار أن جن وصار يصيح يا أبي لم قتلتنى والذى يزوره فى مستشفى المجانين يجد شخصا ناحل الجسم برزت عظامه ولا يفتأ يردد : يا أبي لم قتلتنى ؟



الخطوة الاولى

للكاتب الروائي كونان دويل

السير ارثر كونان دويل من أشهر الروائيين الانجليز وهو صاحب القصص البوليسية عن لوك هولز وله مؤلفات قيمة عن تاريخ حرب البوير وعلم الارواح وكان فى أول أمره طبيبا ولما ع نجمه فى سماء الادب هجر الطب الي تأليف الروايات والقصص . ويستنتج مما قرأناه من تاريخ حياته الذي دونه بنفسه قبل وفاته أن معظم ما كتبه من القصص عن الاطباء وما يلاقونه من المتاعب فى مبدأ فتح عياداتهم وما يصادفونه من الغرائب حصل له شخصيا ونبدأ الآن بالقصة الآتية عن طبيب شاب نال جازته الطبية حديثا وفتح له عيادة فى بلدة صغيرة واذا سمح لنا الوقت وأسعفتنا الظروف فسنوالى نشر هذه المذكرات فى فرص أخرى .

« ١ »

دق الجرس وبادر الطبيب الى فتح الباب واذا برجل يقول

— هل الدكتور هوراس ولكنسون بالمنزل ؟

— أنا هو . . .تفضل وادخل

فلاح الاندهاش على وجه الزائر لان رب المنزل فتح له الباب بنفسه وقال

— يسوؤنى أن أزعجك ياسيدى ولكن لدى مسألة صغيرة أود أن أتحدث معك بشأنها

وكان الطبيب شابا يلوح عليه أنه عصبي المزاج يرتدى ثياب المهنة الرسمية التى هي عبارة عن سترة سوداء طويلة وياقة عالية ناصعة البياض تكاد تصل الى منتصف خده وقد تبين له فى الزائر مريضا يطلب العلاج . . أو بالحرى أول زبون يطأ باب عيادته الجديدة فابتسم وفرك راحتيه مسرورا خصوصا وأن موارده المالية بدأت تنضب ومع أن ايجار العيادة الاسبوعي موجود بتمامه فى درج مكتبه الايمن إلا أن ظروفه صارت تحتم عليه أن يفكر جديا كيف يسدد نفقات معيشته اليومية

لذلك انحنى أمام الزائر مرحبا وأقفل الباب الخارجى بحركة تدل على أن وجوده بجوار الباب كان

مصادفة وسار أمامه الىغرفة الاستقبال ذات الاثاث البسيط وأشار اليه بالجلوس وجلس هو وراء مكتبه وشبك أصابع يديه وأخذ يتأمل زائره ببعض القلق متسائلا عما عسى يكون مرضه . . . أن وجهه محتقن وتنفسه سريع . . لاريب لو كان مكانه أحد أساتذته فى مدرسة الطب لشخص الداء فى الحال ولأدهش المريض بوصف أعراض مرضه قبل أن يتفوه بكلمة

واجه الدكتور هوراس ولكنسون مخيلته عسى أن يفتح الله عليه بشيء فلم يستطع ولم يجد مايستلفت نظره سوى أن الزائر يحمل سلسلة ساعة نحاسية وانه يحمد ربه لو تمكن من أخذ نصف جنيه أتعابا . وعلى كل حال فان نصف جنيه شيء لايستهان به وهو فى مستهل أيام كفاحه

وبدأ الزائر يفتش جيوب معطفه الثقيل كأنه يبحث عن شيء ومن تأثير هذا الاجهاد وحرارة الجو والملابس الثقيلة التى يرتديها ازداد وجهه احتقانا وتندى جبينه بالعرق فلاحت للدكتور بارقة أمل إذ لاشك أن ذلك من ادمان المشروبات الروحية . . لاجدال فى ذلك فالمسكرات أصل الداء ولابد من تناول الامر بدقة ولباقه حتى يفهم المريض أن طبيبه فهم حالته تماما وأن نظرة واحدة من نظراته الفنية قد اخترقت سرائر نفسه وكشفت أعماق فؤاده

أخيرا قال الزائر وهو يمسح جبينه بمنديله ـ الجو حار جدا ياسيدى

فنظر اليه الطبيب نظرة معنوية وقال ـ لاريب أن حرارة الجو تدفع المرء الى تناول البيرة أكثر من اللازم

— آه . . لا أظنك تدمن البيرة ؟

ــ أنا ؟ . . . كلا . أنا لا أتعاطى البيرة مطلقا

ــ ولا أنا فقد امتنعت عن المشروبات الروحية كافة منذ عشرين عاما

هذه بداية غير حسنة ولم يصب الهدف هذه المرة . واحمر وجه الدكتور حتى شابه وجه زائره ومد يده الى جيبه وتناول ساعته وأخذ يعبث بها مرتبكا وبعد هنيهة تمالك نفسه وقال

ــ هل لي ان أسأل عما أستطيع ان افعله لك ؟

ــ لقد كنت على وشك أن أبدأ حديثى فقد بلغنى خبر قدومك الى هذه البلدة ولم أستطع زيارتك قبل الآن و . . .

وقطع حديثه سعال بسيط فقال له الدكتور مشجعا

— نعم . . ثم ماذا ؟

— وكان يجب أن أحضر منذ ثلاثة أسابيع ولكن أنت تعلم هذه الامور لاتتم فى أوقاتها .

ثم سعل مرة أخرى

فقال الدكتور بلهجة الواثق المطمئن ـ لا أظنك فى حاجة الى التبسط فى بيان حالتك أكثر من ذلك فانت لاريب تشكو من مرض صدرى ويمكن تشخيص الداء فى الحال ويلوح لي من صوت السعال أنه نتيجة التهاب شعبى ولا تخف فما دام المرض فى أوله يمكن حصره فى دائرة ضيقة ولكن لاتغفل أخطار المضاعفات وقد أحسنت الحضور . . : والآن اخلع سترتك وابق قميصك وتنفس عميقا وقل أربعة . . أربعة بصوت عميق .

فاخذ الرجل يضحك وقال ـ هذا السعال نتيجة مضغ الدخان وأنا أعرف انها عادة مضرة ولكن المهم الآن اني محصل شركة الغاز وحضرت للمطالبة بتسع شلنات وتسع بنسات قيمة مادونه العداد

فهبط الدكتور على كرسيه بيأس ولهث قائلا

ــ إذن لست مريضا !

ــ لم أستشر طبيبا فى حياتي ياسيدى

وبذل الدكتور مجهود الجبابرة ليتمالك نفسه وقال بلهجة حاول عبثا أن يجعلها أقرب الى المزاح حسنا جدا . لايلوح عليك أنك احتجت اليهم ولا أدرى ماذا كنا نفعل لو تمتع الجميع بمثل صحتك وعلى كل حال سأمر على ادارة الشركة وادفع هذا المبلغ التافه

ــ ألا تسمح ياسيدى أن تقلل تعبك وتدفع المبلغ الآن

ــ لا بأس

وكانت هذه المبالغ الصغيرة تضايق الدكتور أكثر من مصاريف معيشتة اليومية فتناول كيس نقوده والقى محتوياته على المكتب وكانت عبارة عن نصف جنيه وبعض شلنات . وهو يعلم أن فى درج مكتبه جنيهين ذهبيين ولكن هذه أجرة المسكن وهو يفضل الموت جوعا على ان يأخذ منها شيئا

فابتسم ببساطة كانه امام طارىء غير منظور وقال

ــ آسف لعدم وجود « فكة » وعلى كل حال سأمر على الشركة فى أقرب فرصة

ــ حسنا ياسيدى

ووقف المحصل والقى نظرة تناولت محتويات الغرفة تدل على انه متعود أمثال هذه الاعذار وهز رأسه وانصرف

بعد انصراف المحصل أخذ الدكتور ولكنسون يرتب ما تبعثر من الاثاث كما هي عادته مرات عديدة طول النهار واهتم بوضع مجلد الامراض الباطنية الضخم فى مقدمة المكتب حتى يؤثر التأثير العلمي المطلوب واخذ فى جلاء الاسلحة والآلات الصغيرة فى حقيبة الاسعافات الخارجية من مشارط ومقصات وجفوت للشرايين ونثرها فى مكان ظاهر مع السماعة حتى تأخذ أكبر حيز ممكن . واستلفت نظره ان الدفتر الذى أعده لتدوين اسماء المرضى ليس به اسم واحد وليس من المناسب ان تظهر عليه علائم الجدة واللمعان ولذلك أخذ يدعكه بيده ورش عليه بعض نقط الحبر ودون بعض أسماء وهمية وملاحظات خياليه حتى لايظن المريض أنه أول استفتاح

ولما انتهي اعتمد راحته بكفيه منتظرا . . ويا له من انتظار مؤلم ممل

والانتظار مؤلم لكل شاب يتفزز نشاطا ويريد أن يعمل ولكنه أشد إيلاما لمن بات يعد الاسابيع بل الايام التى يستطيع فيها القيام بأود نفسه ، ومهما بالغ فى الاقتصاد فان النقود تتسرب رويدا رويدا فى مطالب تافهة متعددة لا يمكن ان تخطر ببال انسان مالم يستقل فى معيشته ويدبر بيته بنفسه

وبدأ اليأس يدب فى نفس الدكتور ولكنسون وهو يعد القطع الفضية والنحاسية المنثورة امامه وأخذ يفكر بمرارة كيف ان شابا مثقفا مثله قوى الارادة متمكن من فنه لا يستطيع أن يربح مايسد نفقات معيشته فى هذه البلدة التجارية الكبيرة

وجلس الدكتور وراء النافذة الزجاجية يتأمل حركة المرور فى الشارع أمام العيادة ويشاهد سيول المارة تتدفق بلا انقطاع ذهابا وايابا وكل مسرع الي غرضه لايلوى على شيء ولايعبأ بتلك اللوحة النحاسية على الباب او يخطر فى باله ذلك الرجل الذي يضنيه الانتظار خلف النافذة

ومع ذلك فكثيرون من هؤلاء مرضى محتاجون لفنه وطبه . فهذا رجل سيء الهضم ، وتلك امرأة على وجهها علائم الانيميا الشديدة وذلك محتقن الوجه وذاك اصفره . . كل هؤلاء محتاجون اليه وهو محتاج اليهم ولكن كرامة المهنة تقف حائلا بين الطرفين فلا يمكنه ان يقف على قارعة الطريق ويسحب احدهم من كمه ويهمس فى أنه قائلا : اسمح لى ياسيدى أن أخبرك أنك مصاب بطفح جلدى يدعي طبياً « اكنا روزا شيا » وهذه البثور تجمل وجهك لايسر الناظرين ، وان تذكرة طبية تحوى بعض الزرنيخ ولا تكلفك اكثر من مصاريف نزهة بسيطة تفيدك كثيرا

وهذا العمل يحط من كرامة المهنة بلا جدال ومن الغريب ان اكثر أفراد المهنة الطبية احتراما

للرسميات وتمسكا بالكرامة هم أولئك الذين يعانون الحرمان فى سبيلها

ودق الجرس فجأة . . . أواه كم من مرة دق الجرس فلاح له أمل أعقبه يأس . ولكن الشباب لايدع اليأس يتسرب الى نفسه فقفز على قدميه والقى نظرة اخيرة على منضدة العمليات ودفع كتبه الطبية الى الامام قليلا وأسرع الي الباب الخارجي ولكنه ما كاد يقترب حتى بدرت منه أنة موجعة فقد رأي من خلال الالواح الزجاجية النصف الشفافة عربة حقيرة لبعض النور وعليها مختلف الاثاث البسيط المصنوع من القش واقفة أمام المنزل وان اثنين من النور معهما طفل منتظران بجوارها ففتح الباب قليلا وصاح

— انصرفا . ليس عندى شيء لكما .

ثم رجع الى غرفة المكتب وما كاد يجلس قليلا حتى دق الجرس مرة أخرى فثار غضبه واسرع ثانية الى الباب وهو يصيح ـ قلت لكما . : .

ولكن شخصا منهما قاطعه بلهجة ذليلة قائلا

— عفوا ياسيدى نريد طبيباً

وباسرع من لمح البرق هبطت نيران غضبه وأخذ يفرك راحتيه ولاحت على وجهه ابتسامة الترحيب الفنية . . . ياله من جاهل . لقد حاول فعلا أن يطرد مريضا من أمام عيادته . . المريض الاول الذى ينتظره بفارغ الصبر . لاريب أن هيئة الشخص لا تشجع كثيرا وكان أحدهما طويل القامة أشعث الشعر ممسكا بزمام حصانه وبجواره امرأة ضئيلة حول عينيها رضوض متعممة بمنديل اصفر وعلي صدرها طفل ملفوف بشال احمر .

وأيقن الدكتور أن فراسته لن تخطيء هذه المرة وقال للسيدة

— تفضلى وادخلى واجلسى على هذا الكرسى وثقى أنك ستشعرين براحة جديدة قصيرة

ثم صب قليلا من الماء فى طبق زجاجى نظيف وقص قطعة من القماش الطبى المعروف باللنت وغمسها بالماء ووضعها على العين المرضوضة وربطها برباط أبيض جديد

ولما انتهى من عمله قالت السيدة

— أشكرك يا سيدى والله يكافئك على فعل الخير ولكن لم أحضر لاجل عينى

— لم تحضرى لاجل عينك ؟

وبدأ الدكتور يشك فى فائدة التشخيص السريع وبدلا من أن يدهش المريض من فراسة طبيبه كان الطبيب هو المدهش من مريضه فى كل مرة

واستأنفت السيدة كلامها قائلة

— هذا الطفل مصاب بالحصبة

وكشفت شالها عن طفل هزيل محتقن الوجه وعليه طفح أحمر داكن وتنفسه مضطرب وهو ينظر الى الطبيب بعينين أثقلت أجفانهما قشور الطفح وحرارة الحمى فقال الدكتور — أجل هذه حصبة لا شك فيها

— ولهذا أتيت حتى اذا حضرته الوفاة تشهد بمرضه والآن سأنصرف لان روبين زوجى يعل الانتظار

— ولكن . . . ألا تريدين دواء

— يكفي أنك كشفت عليه وسأفيدك اذا طرأ طارىء

— ولكن يجب أن تأخذى دواء فالطفل مريض جدا

ودخل الي الغرفة الصغيرة التى أعدها للعمليات الجراحية وتحضير الادوية وركب دواء مبردا فى زجاجة سعتها ٦٠ جراما . وكانت اجزخانته مستوفاة لان المريض فى بلدة مثل سيتون لايستطيع أن يدفع أجرة الطبيب ثم ثمن الدواء للصيدلي

وناول الزجاجة للسيدة قائلا :

— هذا هو الدواء يا سيدتي والتعليمات مدونة عليها وتجنبي تيار الهواء واعطه غذاء خفيفا

— شكرا لك يا سيدى

ثم غطت الطفل بالشال الاحمر وضمته الى صدرها وسارت نحو الباب فتردد الطبيب قليلا ثم قال بلهجة عصبية

— عفوا يا سيدتى . . . أظن المسألة تافهة لا تستحق كتابة كشف حساب وأظن الافضل ان تدفعى الآن

فصوبت اليه المرأة نظرة توبيخ من عينها المكشوفة وقالت

— أتريد أن تتناول أجرا على ذلك . . كم تطلب ؟

فأجاب بلهجة عدم الاهتمام كأن المبلغ لا يستحق الذكر

— نصف جنيه فقط

فصاحت المرأة باندهاش — نصف جنيه!

— اذا كنت لا تستطيعين دفع أجرة الطبيب فلماذا لم تقصدى العيادة المجانية

فأخذت المرأة تبحث فى جيبها ثم أخرجت بعض القطع النحاسية وقالت

— أمرى لله . . اليك هذا المبلغ وسأعطيك كرسيا صغيرا من القش أيضا

— ولكن الأجرة نصف جنيه

وثار الدكتور لكبريائه الفنى من هذه المساومة الحقيرة ولكن ماذا عساه يفعل ؟

وأجابت المرأة ـ ومن أين أعطيك نصف جنيه . . . طبعا هذا المبلغ حقير بالنسبة لكم معشر الاغنياء الذن تأكلون وتشربون بلا تعب ولا عناء . . وتطلب نصف جنيه لبضع كلمات لا تغنى فتيلا . نحن يا سيدى نأكل خبزنا بعرق جبيننا وقد أوصيتنى ان أعطى الطفل غذاء خفيفا فهل تظن ان عندى أكثر من ذلك لأغذيه ؟

وبينما المرأة مندفعة فى حديثها كان الدكتور يتأمل نقوده الفضية والنحاسية التى تقف بينه وبين الموت جوعا وسره ان المرأة تظنه متنعما فى الملذات متنعما فى المأكل والمشرب ثم أخذ نقوده النحاسية وأعطاها للمرأة قائلا

— لا بأس عليك من جهة الاجرة وخذي هذه لغذاء الطفل

ثم شيعها الى الباب واغلقه بعد انصرافها

وهذا هو الزبون الأول !

(٣)

رجع الطبيب الى مكتبه ليسرى عن نفسه واشعل موقد السبرتو ليغلى ماء للشاى وهو يحسب خسائره التى اكتسبها من مريضه الاول ففضلا عن اتساخ السجادة وضياع الوقت فقد أنفق بنسين ثمن الرباط واربع بنسات أو أكثر ثمن الدواء علاوة على الزجاجة والفلين والورق يضاف الى ذلك الخمس الشلنات التى تبرع بها وعلى ذلك فأول مريض استفتح به كافه سدس رأسماله ولو زاره خمسة مرضى على هذه الوتيرة لاصبح خالي الوفاض بمعنى الكلمة

جلس يفكر ويضحك وهو يضيف ملعقة الشاى الى الاناء وفجأة غاضت الابتسامة وأرهف أذنه نحو الباب إذ طرق سمعه دوى عجلات تقترب ثم وقع خطوات دق بعدها الجرس فأطل من خلف زجاج الباب وملعقة الشاى لا تزال فى يده ولشد ما دهش إذ رأى عربة فخمة بفرسين وقد نزل منها خادم بلباسه الرسمى يقرع الجرس فسقطت الملعقة من يده منذهلا ولكنه تمالك نفسه وفتح الباب

فقال الخادم ـ أيها الشاب ! قل لسيدك الدكتور ولكنسون انه مطلوب حالا لعيادة اللادى

ملبانك فى قصر ثوارس وكنا نود ان نأخذه معنا فى العربة لولا أننا سنمر على الدكتور ماسون ايضا . . هيا . . اسرع . . ألا تزال واقفا ؟

ثم رجع الخادم الى العربة والهب السائق الخيل بسوطه فصارت تنهب الارض والدكتور لايزال أمام الباب يفكر منذهلا . . فاللادي ملبانك لا بد ان تكون من علية القوم ولا ريب ان حالتها خطرة حتى استوجبت استدعاء طبيبين

ولكن لماذا التجأوا اليه وهو لا يزال حديث العهد فى البلدة . . ربما حصل غلط فى العنوان أو ربما كان أحدهم يهزأ به ولكن مهما كانت الحالة فالمسألة تستدعى الاهتمام العاجل فيجب ان يبت فى الامر حالا وافضل طريقة ان يستعلم من البائع العجوز صاحب الحانوت فى ركن الشارع حيث يبيع الصحف وينقل الاخبار . وفى الحال وضع على رأسه قبعته العالية النظيفة وملأ جيوبه بالآلات الجراحية الضرورية للاسعاف وبعض الاربطة وبدون ان ينتظر اتمام الشاى قصد البائع وعلم منه ان السير جون ملبانك ثرى معروف فى المدينة وتاجر واسع الغنى يملك قصرا فخما فى الضواحي وزوجته مريضة من زمن طويل وقد تفاقمت حالتها أخيرا

وهذه المعلومات أراحت باله ولا شك ان أهل القصر علموا بأمره عن طريق المصادفة ثم خالجه الشك فرجع للبائع وسأله عما اذا كان يوجد فى البلد طبيب آخر باسم الدكتور ولكنسون فأجابه سلبا

إذن بعد طول الانتظار سنحت له الفرصة فلينتهزها وعليه استدعي عربة وأمر السائق بالاسراع وجلس فى ركن العربة تتقاذفه الافكار المختلفة ، وتضطرب فى صدره عواطف الفرح والامل مشوبة بالرهبة والشك لئلا تكون الحالة فوق طاقته او يجد فى اللحظة الاخيرة أنه نسى الجهاز المناسب

وأخذ يستعرض فى مخيلته جميع الحالات الغريبة والمستعصية التى سمع بها او قرأ عنها حتى انه ماوصلت العربة الى باب القصر حتى كان قد أكد لنفسه انه لاريب مطلوب لعمل عملية لاتقل خطورة عن تربنة فى المخ

وقصر هوراس دار فخمة يحيط بها الاشجار العالية ومنزو عن الطريق فى عزلة ارستقراطية

وحالما وقفت العربة قفز منها الطبيب ودفع للسائق نصف ماءاك أجرة له وتبع الخادم الذي استقبله بعد ان أبلغه اسمه ومهمته الى قاعة استقبال فاخرة حيث رأى رجلا عصبي المزاج جالساً على كرسى بجوار الموقد وفتاتين فى ركن بعيد بين نافذتين

وحالما رآه الرجل صاح به « هالو ! . . من هذا ؟ لعالك الدكتور ولكنسون »

— نعم ياسيدى انا الدكتور ولـكنسون

ــ آه . . انك لاتزال فى شرخ الشباب . .أصغر مما كنت انتظر . . لابأس فما سون متقدم فى السن ومع ذلك يلوح لى إنه غير متمكن تماما من فنه . . فلنجرب الشباب الآن . اذن انت الدكتور ولـكنسون الذى كتب شيئا عن امراض الرئة .

آه . هذا هو السبب الذى حير الدكتور كثيرا . فقد كتب فى الواقع رسالتين صغيرتين هما كل ما كتب وقد نشرتا فى اللانست بين الاعلانات وتبين له الآن انمجهوده لم يذهب عبثا لذلك أجاب

— نعم ياسيدى كتبت شيئا فى الموضوع

— حسنا واين ماسون

— لم أتشرف بمعرفته بعد

— غريب .. انه يعرفك وقد شهد لك شهادة حسنة . هل انت حديث العهد فى بلدنا

— أجل ولم امض بها الا مدة وجيزة

ــ هذا ماقاله ماسون ولم يذكر لى العنوان بل اخبرنى انه سيمر عليك ويستصحبك الي هنا ولـكن لما ساءت حالة زوجتى بحثت عنك وارسلت فى طلبك انت وماسون أيضا ولـكنهم لم يجدوه فى عيادته وعلى كل حال لانستطيع الانتظار ويمكنك ان تصعد الي غرفة المريضة

فتردد الدكتور قليلا ثم قال

ــ ان موقفى دقيق ياسيدى فقد فهمت انى هنا لمقابلة زميلى الدكتور ماسون فى استشارة طبية وعلى ذلك لايمـكنى أن اكشف على المريضة قبل حضوره فيجب ان انتظر

ــ تنتظر ! هل يدور بخلدك انى اترك زوجتى تزداد حالتها سوءا بينما الطبيب يدخن سجارته بهدوء على كرسيه ! كلا ياسيدى . إما أن تصعد للـكشف عليها او تخرج ولك الخيار

واستاء الطبيب لهذه اللهجة الجافة ولـكنه تغاضى لان من كانت زوجته فى شدة المرض يمكن التساهل معه ومسامحته وعليه أجاب

— اذا كنت مصرا على رأيك فهيا بنا

— بكل تأكيد . . وثمة أمر آخر فانا لا أود أن تتعب المريضة وتنهك قواها بالدق والطرق على كل سنتيمتر مربع من صدرها وظهرها وتضغط بسماعتـك كل ضلع . . يكفى أن تعلم انها مريضة بنزلة شعبية مزمنة وربو والآن يمكنك أن تراها وتصف لها الدواء اذا كنت تستطيع

فتناول الدكتور قبعته ونهض لينصرف . انه يستطيع أن يتسامح لمن يمس شخصه ، أما من يحاول الحط من كرامته الفنية فلن يصفح عنه مطلقا

وعليه التفت الي صاحب القصر وقال له بأنفة

— شكرا لك . اسمح لى ان أنصرف لانى لاأستطيع ان آخذ على عاتقى مسؤولية علاج هذه الحالة بهذه الشروط

— ماذا جرى ؟

— لم أتعود ان أصف العلاج لمريض لم اكشف عليه بدقة وإنى لأعجب كيف تشير بهذا الرأى على طبيب مثلى . . نهارك سعيد

ولكن السير جون ملبانك كان تاجرا وعنده انه كلما صعب الحصول على أمر ازدادت قيمته وكان الى هذه اللحظة يظن أن الطبيب لايهمه سوى الحصول على اجرته ولكنه رأى امامه شابا لايعبأ بثروته ولا بلقبه فازداد احتراما لشخصه وتقديرا لرأيه وقال له

— كفى كفى . . ماسون لايدقق على هذا النحو . . ولكن افعل ماتريد وسأسبقك لابلغ اللادى ملبانك عن حضورك

وما كاد الباب يقفل بعد خروجه حتى هرعت الفتاتان المنزويتان فى ركن الغرفة الي الدكتور وهو مندهش واخذت الكبري تصفق بيديها وتصيح ـ مرحي مرحى

وقالت الاخرى ـ لاتدعه يتغلب عليك يادكتور . . انى أهنئك بموقفك المشرف بينما الدكتور ماسون لم يفحص عن ماما مرة واحدة بل كان يأخذ رأى بابا قضية مسلمة . . صه هاهو قادم وفى لحظة كانتا فى ركنهما

وتبع الدكتور هوراس ولكنسون السير جون على السلم العريض المغطي بالسجاد الكثيف الى غرفة المريضة المعتمة وبعد ربع ساعة أتم فحصها بدقة ورجع مع الزوج الى غرفة الاستقبال

وحالما دخل رأى رجلين واقفين امام الموقد أحدهما حليق الوجه يظهر جليا من هيئته انه طبيب عمومى والآخر رجل فى منتصف العمر ذو عينين زرقاوين ولحية حمراء

فقال السير جون للرجل الحليق ـ هالو ماسون . أتيت أخيرا

— أجل . تأخرت قليلا ياسير جون . وأحضرت معى الدكتور ولكنسون حسب وعدى

— الدكتور ولكنسون . . هاهو معى وقد حضر من مدة طويلة

فلاحت الدهشة على وجه الدكتور ماسون وقال ـ لم أر هذا السيد من قبل

فقال ـ ومع ذلك فانا الدكتور ولكنسون . . هوراس ولكنسون فى شارع القناة نمرة ١١٤

فصاح الدكتور ماسون ـ عجبا ياسير جون . هل تظن انى الجأ نى حالة مهمة كهذه الى طبيب

محلى حديث العهد ! هاهو الدكتور آدم ولكنسون مدرس الامراض الصدرية فى كلية ريجنت بلندن والاخصائى بمستشفي سان سوبدن ومؤلف عشرات الكتب فى هذا الموضوع وتصادف انه زار سوتون زيارة قصيرة فرأيت أن انتهز الفرصة وننتفع بخبرته

فاجاب السير جون بلهجة جافة

ــ اشكرك ولكن أخشى أن تكون زوجتى تعبة بعد أن فحصهاهذا السيد فحصا تاما وربما أنك أتعبت نفسك فى الحضور فاكون ممنونا لو تكرمتم بارسال كشف الاتعاب

وانصرف الدكتور ماسون مستاء بينما كان زميله الاختصاصى يبتسم مسرورا مما حدث أمامه

وأصغى السير جون الى أقوال الدكتور ولكنسون عن نتيجة فحصه ولما انتهى قال

ــ والآن سأقول لك كلمة يادكتور . فانا رجل جدى ، وعند ما أثق بشخص ما أستبقيه عندى فانا صديق نافع وعدو ضار وأنا واثق بك ولا أثق بماسون فانت من الآن طبيب العائلة ويمكنك أن تأتى يوميا لمعالجة زوجتى . فهل يسرك هذا

ــ أنا شاكر لك ثقتك بى ورعايتك لى ولكنى آسف لعدم امكانى الانتفاع بهما

ــ ماذا تعنى ؟

ــ أقول أني لا أستطيع ان أحل محل الدكتور ماسون فى حالة كان يعالجها لان كرامة المهنة لا تسمح لى بذلك

فصاح السير جون يائساً ـ أنت وشأنك . . . لم أر من قبل شخصا مثلك يضع العراقيل أمام منفعته . . لقد عرضت عليك ماينفعك وأنت رفضت . فأنت وشأنك .

وخرج اللورد ينفخ بشدة ويرجع الدكتور ولكنسون الى موقده الكحولى واناء الشاى وفى جيبه أول جنيه اكتسبه من مهنته وضميره مستريح لانه أدى رسالته الفنية خير أداء وحافظ على كرامته

وبالرغم من ذلك فان تلك الغلطة الغير المقصودة كانت أساس شهرته فان مسلكه الشريف بلغ مسامع الدكتور ماسون وعلم كيف أن زميله الشاب الذى احتقره كان باستطاعته أن يستولي على أهم مريض عنده ولكنه رفض مع أن التجربة كانت شديدة الاغراء

وبعد زيارة قصيرة من الدكتور ماسون توطدت الصداقة بين الاثنين والآن فان أهم عيادة فى سوتون هي « عيادة ماسون وولكنسون » .

الدكتور فؤاد واصف



الهيكل العظمى

للشاعر الفيلسوف رابندرانات تاجور

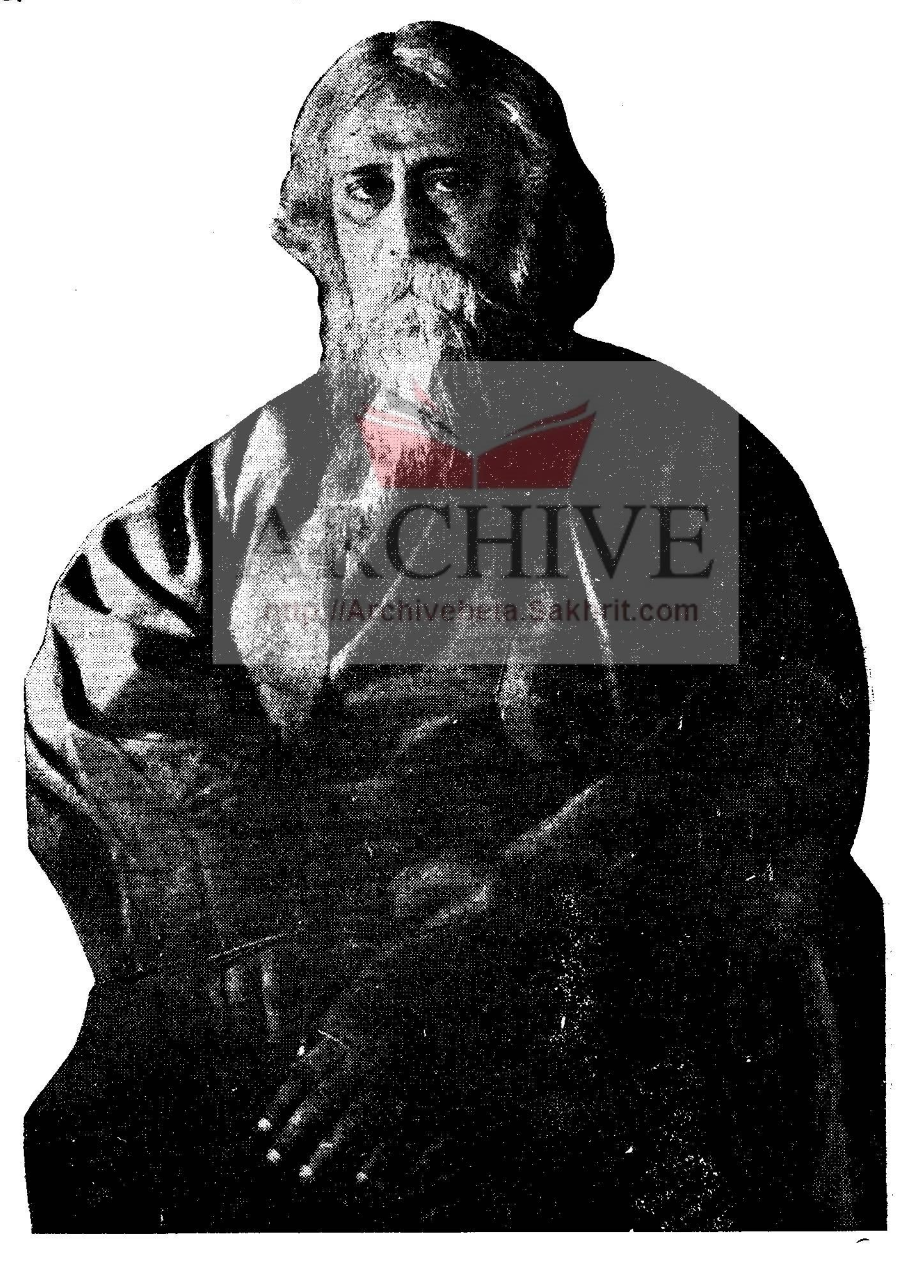
تعريب الاستاذ حسن محمد حبشى

فى الغرفة المجاورة لحجرة نومنا ـ نحن الاطفال ـ كان هناك هيكل عظمى معلقا ، يجلجل فى
يل حين يداعب النسيم عظامه أما فى النهار فقد كنا نحركه بأنفسنا ، وكان يدرس لنا علم العظام
الب بمدرسة طب كامبل ذلك لان من حولنا وطدوا العزم على أن يجعلوا منا أساتذة مبرزين فى
ل المواد ، ومهما كان نجاحنا فلم نكن لنخبر به أحدا ممن يعرفنا ، كما كنا نخفى ذلك عمن
مت الينا بصلة

مرت سنون اختفى فى أثنائها الهيكل من الغرفة ، كما محيت بقايا علم الاستولوجيا من ذاكرتنا
لم تترك وراءها أثرا وفى يوم من الايام كان منزلنا فى هرج يموج بالضيوف وقدر لى أن أقضى
يلة فى تلك الحجرة القديمة وعبثا كنت أحاول اغراء الكرى ليطرق جفونى، وبينا أنا أتقلب
مضجعى سمعت كل ساعات الليل تدق واحدة أثر أخرى فى المعبد المجاور لى ، وبعد عدة دقائق
طفأ المصباح الموضوع فى ركن الغرفة بعد أن ظل شعاعه يضطرب فأسلمنى الظلام الى ذكر بعض
حياء فقدناهم ، وتأملت خفوت الشعاع فى محيط من الديجور القاتم ومن ثم قارنت بينه وبين خروج
روح من أجسامنا البشرية الضئيلة وهالنى الشبه العظيم بينهما

وقد جعلنى تداعى الافكار أفكر فى الهيكل العظمى وبينا أنا أرسم فى خيالى صورة للجسد
شرى الذى كان يكسو هاتيك العظام النخرة خيل الى أني أسمع وقع أقدام تجوس خلال الحجرة
حول الفراش وتتلمس الجدران وأحسست أني اسمع أنفاس المتجول المضطربة وكأنما أعياه
حث فمضى يذرع الغرفة جيئة وذهوبا وخدعت نفسى بأن ما أسمع ليس الا من قبيل الوهم ،
تصوره لى الارق الطويل وتشتت العقل ومحاكاة اضطراب أعصابي لوقع الاقدام ومع ذلك
د عرتنى قشعريرة سرت فى جسدى ولكى أتخلص من هذا الوهم هتفت صارخا . « من هنا ؟ »
ذا بالسارى يقف حذاء فراشى ويقول « أنا جئت لأفتش عن هيكلى الذى بارحته » فرأيت

أنه من الجبن أن أتخاذل أمام شخص صوره وهمى وجسمه خيالى فأمسكت جيدا بالوسادة وقلت أنه عمل جميل فى هذا الوقت المتأخر من الليل ماجدوى، هذا الهيكل لك الآن ؟ واذا بالصوت يصدر من الكلة نفسها ويقول . ياله من سؤال عجيب ان فى هذا الهيكل عظاما كانت سياجا يقى قلبى الفتى



الشاعر الفيلسوف تاجور

الذى لم يجاوز السادسة والعشرين أفلا يحق لى أن أراه مرة أخرى ؟ فقلت له . « لاشك فى ذلك ، انها رغبة سامية محترمة . فلتبحث عنه ما شئت . ودعنى أنعم بالكري قليلا »

فقال الصوت . « أظنك هنا منفردا . حسن . اني لانتهز هذه النهزة لاجلس برهة معك نتجاذب فيها الحديث وتلك سجيتى . فقديما كنت اجلس الى الرجال نتحادث ولكنه فى الخمسة والثلاثين عاما الاخيرة أبدلت ذلك بأنينى مع الرياح الداوية عند قبور الاموات وها أنذا أتكلم مع فرد من بنى البشر لاول مرة منذ مماتى »

وأحسست أن شخصا يجلس قرب كلة سريرى فأذعنت للواقع وأجبت « ان هذا فى الحقيقة لشىء جميل جدا وهيا بنا نتكلم فى شىء طريف »

فقال الصوت . « ان أجمل شىء أتذكره هو تاريخ حياتى فدعني أقصه عليك »

وحينئذ دقت الساعة دقتين فانطلق محدثا وقال

« عندما كنت فى ميعة العمر فى دنيا لم كنت أخشى شيئا واحدا كما أخشى الموت ألا وهو زوجى وكانت احساساتى أشبه بأحساسات سمكة علقت بالشص اذ كنت احسبني هذه السمكة وقد نزعت من ذلك الهدوء الذى شعرت به فى منزل الصبا . لقد مات زوجى عقب زواجي بشهرين ولم يكن حزنهم على وفاته أكثر من حزنهم على حظى التعس . أما أبوه فقد نظر الي وجهي ذات يوم وقال لزوجه : ألا ترين فى عينيها نذير الشؤم ؟

ثم قال الصوت : « أمنصت أنت لقصتى ؟ آمل أن تكون قد أعجبتك »

فقلت : « لقد أخذت على جماع مشاعرى وأن مبدأها ليشوق الى نهايتها »

ثم عاد الصوت يقول : « دعنى أتمها ، لقد عدت الى منزل والدى . والسرور يملأ نفسى واستنكر الناس هذا منى ولكنى كنت أعرف جيدا أني على قسط وافر من الجمال . ألا ترى ذلك؟ »

فقلت . « لاشك فى ذلك . ولكن يجب أن تتذكرى أنى لم أرك أبدا »

فصاح الصوت . « عجبا لك ألم ترني مطلقا ؟ اذن ماهذا الهيكل العظمى ها ها لا بأس عليك لقد كنت أمزح معك وهل فى مقدورى أن أعرفك كيف كان فى هاتين الحفرتين عينان معك يشع منهما السحر وأن لاتشابه بين الشفتين الياقوتيتين اللتين كانتا تفتران عن ابتسامة فتانة وبين تلك الاسنان القائمة التى تعودت أن تراها وأنى كلما حاولت أن أصور لك ما كنت عليه من جمال عبقرى وحسن وبهاء ورقة ابتسمت طربا كما أشعر بشىء من الحزن والغضب وأن أشهر أطباء عصرى لم يكن يخطر على بالهم ان عظامي ستكون يوما وسيلة لتفهيم دروس الاستولوجى . أتعرف طبيبك

شابا - كما أعرف - قارن بيني وبين زهرة « الشامباك » وما دار بخلده أن هذا الهيكل المحطم لفتاة كانت زهرة الجمال . وكلما سرت شعرت بأني قطعة من الماس المتلألىء القيت في جوف الثري وأن كل حركة مني تثير عاصفة من الاعجاب وكم أمضيت الساعات الطوال أتأملها تين اليدين اللتين تمناهما كثير من الشبان المتيمين ولكن هذا الهيكل الجامد لايستطيع أن يحرك شعورك نحوى ولست أملك وسيلة أدحض بها هذا الافتراء الذى يوحيه اليك هيكلي ولذلك أشعر بمقت للرجال وها أنذا أطرد الذكرى من مقلتيك بوصف شفتى الورديتين لك »

فصحت قائلا : « اقسم لك بجسدك أنك لو كنت محتفظة به حتى الآن لما كان للاستولوجى أثر فى ذاكرتى ولكان الذى يملأها هو صورة الحب القوى العاصف يلوح لى في غياهب الليل ولست اذكر لك أكثر من ذلك »

فتابع الصوت كلامه قائلا : « لم تكن لى فتاة شقيقة . أما أخى الوحيد فقد وطد العزم على أن لايتزوج وكنت أقضى الوقت منفردة فى الحديقة أتفيأ ظلال الأشجار المتهدلة وأصبح فى بحر الخيال فأتصور العالم كله يعبد جمالى وأن النجوم الزهر تسكر من حسن طلعتى وأن الرياح تدوى أعجابا بى والعشب المخضر يضطرب غلا حين أخطر فوقه وكنت أحسب شباب العالم كلهم كالأعشاب التى أطؤها بقدمي ولكن قلبى لأمر ما كان ينطوى على شيء من الالم وكان لأخي صديق اسمه « شيكار » أتم دراسته بكلية الطب وأصبح طبيب العائلة وكنت أرقبه عن كثب من خلال الاستار ، أما أخى فقد كان رجلا شاذا اعتزل الناس وأوى الي ركن مظلم ، ولما كان شيكار صديقه الوحيد فقد أبيح لى أن القاه وكنت اذا مضيت الى الحديقة مساء تخيلت كل عشب « شيكارا » آخر . أمنصت أنت الىّ ؟ فيم تفكر

فقلت : « أفكر فيما لو كنت شيكارا هذا ؟ »

فقال الصوت : « مهل قليلا وأنصت للقصة كاملة ففى يوم ممطر أصابتنى الحمى وجاء لى الطبيب يعودني وكانت هذه أول مرة ألقاه فيها وكنت أتكىء على حافة النافذة حتى تصبغ حمرة الشفق المودع وجنتى ، وحين جاء الطبيب تأمل وجهي مليا فقلدته وتأملت فى نفسى فخيل الىّ أن وجهى وردة حمراء قد ألقيت على وسادة بيضاء ، فسأل الطبيب أخى ان يجس النبض ، ولم أر طبيبا أجبن منه حتى أن أصابعه كانت تضطرب ولا تستقر حين أقبل يتلمس معصمى وفى النهاية سجل حرارة الحمى التى انتابتنى أما أنا فقد قدرت خفقان قلبه أعندك شك فى ذلك ؟ »

فقلت : « كلا . كلا . أن خفقات الفؤاد لتحكى قصته ؟ ؟ »

فقال الصوت : « بعد أن أبللت من مرضى المنهك ألفيت كل أحبابي، قد رغبوا عنى وأخيرا أصبح الطبيب يعود مريضا فحسب ، وكنت فى هذه الامسيات أرتدى ثوبا أبيض وقد تدلت عليه ضفائر شعرى المحلاة بزهور الياسمين الابيض ومن ثم اتخذ مقعدى المعتاد تحت أفنان الاشجار ومرآتى فى يدى ، وربما تظن أن رؤية الشخص لصورته وجماله فى المرآة تجعله ملولا ولكن الواقع غير ذلك لانى لم أكن أرى نفسي بعيني رأسى ، لقد كنت شخصين فى جسد واحد فكنت أنظر لنفسي بعين الطبيب ، وشعرت بجنون الحب ولكن برغم هذا الدلال الذى أسرفت فيه قد كانت هناك آهة حبيسة تتردد فى صدرى وتئن كما تئن رياح الليل ، ولم أكن فى ذلك الحين وحيدة ، بل كنت حين أسير أتطلع الى أصابع قدمى بعين كئيبة ، وأعجب ماذا تكون حالة الطبيب لو أنه شاهدني الآن ؟ أما فى الظهيرة حين تتوسط ذكاء كبد السماء ولا يسمع صوت هنا أو هناك إلا صيحة حدأة لاتلبث أن تتلاشى فقد كان يمر خلف سور حديقتنا بائع الصقور ينادى « صقور زجاجية للبيع » وحينئذ أبسط على العشب خرقة بيضاء أجلس عليها وأعتمد رأسى بكفى ، ويدى الاخرى تعبث بالحشائش ، وكنت أتخيل أن هناك من يرقبنى فى مجلسى هذا ويعجب بي، ويود لو أنه طبع قبلة على أطراف أصابعى الوردية ، ولكن كيف أتم لك قصتى وفى استطاعتى أن أسامرك حتى الصباح ولكن ذلك يبغضها لك . . . إذن دعنى أظل فى قصتى ، أما الطبيب فحين مارس صناعته جيدا استأجر غرفة فى الدور الارضى بمنزلنا وجعلها عيادة للمرضى وكنت أتسلى بسؤالى إياه عن الادوية والسموم والمقدار الذى يميت من هذا الدواء أو ذاك ، ولكن هذه الاحاديث أخذت طورا آخر ، فقد جعلتنى أتأمل فى فكرة الموت وكان الحب والموت شاغلى تفكيرى وحياتى .

مضى على ذلك ردح من الزمن لاحظت فيه على الطبيب تشتت الذاكرة ، وخيل اليّ أنه يحفظ فى صدره سرا يخجل أن يحدثنى عنه وفى ذات ليلة جاء مرتديا كثيرا من الملابس واستعار مركبة أخي وهنا ثارت الدهشة فى نفسى ، ومضيت أستفسره عن كل شيء وبعد أن تجاذبت معه الحديث سألته : ألك أن تخبرنى يا« دادا » عن وجهة الطبيب هذه الليلة وقد استعار مركبتك ؟ .. فأجابنى أخى بصوت أجش « الى الموت » فصحت به « أخبرني حقيقة أين هو ذاهب ؟ » فقال فى شيء من الصراحة « مضى ليتزوج » فتعالت ضحكاتى طويلا . وقلت أحقا ماتقول ؟

وعرفت حينئذاك أن العروس وريثة ثرية ستنفح الطبيب مبلغا طائلا من المال ، ولكن لماذا كان يخدعنى طيلة الوقت بأخفائه ذلك عنى ؟ وهل توسلت اليه أن لايتزوج حتى يحطم قلبي ؟

ولـكن تلك سجية الرجال طبعوا عليها فتصديقهم ضرب من البلاهة . لقد عرفت فى حياتي كلها رجلا واحدا ولـكنه سرعان ما اختفى وتفقدته فلم أجده

وبعد أن أتم الطبيب عمله وعاد الينا ، وتهيأ للعمل سألته ضاحكة : لقد أحسنت ياد كتور ، أعزمت على الزواج هذه الليلة ؟ ولم يفقده سرورى ابتسامة محياه فحسب بل أثاره ذلك فسألته : ولم لم توقد الثريات . ولم تعزف الموسيقى ؟ »

فأجابنى فى تنهد . « وهل تحسبين ان فى الزواج سعادة أو لذة ؟ »

فانفجرت ضاحكة وقلت . لا . لا . لن يكون ذلك وهل هناك عرس لم توقد فيه المصابيح ولم تعزف الموسيقي

وظللت أزعج أخى حتى أصدر أمره باحضار جماعة الموسيقى ؟ وكنت أبتسم طيلة الوقت وأتحدث عن العروس وحياتها وما سأفعله حين تأتى المنزل وسألته . خبرنى ياد كتور هل ستظل تجس النبض ؟ ثم انفجرت ضاحكة . وتم عقد الزواج فى ساعة متأخرة من الليل وقبل ابتدائه كان أخي والطبيب قد جلسا الي خوان صغير يشربان كأسا من الخمر ، ولما هتك القمر أستار الظلام سألت الطبيب . « أنسيت عرسك ؟ وقد حان الوقت » ومضيت الى صيدليته ألتمس فيها قليلا من مسحوق وضعته فى كوبه حين كان مشغولا عنه واذ ذاك رفعها الي فمه وتجرعها دفعة واحدة ثم صوب الى نظرة اخترقت شغاف قلبى وقال

الآن سأذهب الى حيث لاعودة لي ولا مآب

ولما صمتت الموسيقى للراحة مضيت الي غرفتى وارتديت ثياب عرسى الحريرية الموشاة بالذهب وأخذت جواهرى كلها ووضعت شارة العرس الحمراء على مفرقى ومن ثم هيأت فراشى تحت شجرة فى الحديقة

وكانت ليلة بليلة ناعمة ورياح الشمال الهادئة تقبل ما تمر عليه فتطمئن القلوب وقد فاح فى أرجاء الحديقة عطر الياسمين الشذى وبينما الموسيقى آخذة فى الهدوء شيئا فشيئا كان وجه القمر يلتحف حجب السحاب المغبر القاتم وبدأت أغيب عن الدنيا رويدا رويدا وأغلقت عينى مبتسمة وتذكرت مجىء الناس ومشاهدتهم إياى هنا ولـكن وا أسفاه على الملابس الحريرية المذهبة. وحين استيقظت على صوت لغط حولى لقيت ثلاثة شبان يدرسون علم العظام على هيكلى ، فجاشت فى نفسى الآلام وأخذت زهرات الشباب تنفتح أكمامها واذا باستاذ يشير بعصاه الى عظامي مسميا اياها بأسمائها العلمية ، ولـكن أترى أثرا لهذه الابتسامة الاخيرة ؟ وهل أعجبتك القصة ؟ فقلت يا لها من قصة رائعة.

وفى اللحظة رنت أول صيحة وقلت . « أأنت هنا » فلم يجبنى سوى الصدى وحينذاك كانت أشعة الصباح قد نفذت الى الحجرة

حسن محمد حبشى

حرب وسلام

للاستاذ نقولا يوسف

طغى الحديث عن الحرب والسلم على كل حديث سواه فشغل أذهان البشر وأعمدة الصحف ومنابر الخطابة . وبات كل عابر للطريق لا يعنى بغير الغازات الجوية وشراء الكمامات وما تؤول اليه حرب تعد لها الامم معداتها منذ سنين

ولم يكن الحديث عن الحرب والسلم منذ ظهور الانسان على الارض بالموضوع الجديد الذى تثور ثائرته قبل أن تنشب الحرب . ولكن الجديد فى قصة اليوم أن العالم كله يتحرك ويتكلم من جهات الارض الاربع كأسرة واحدة أغضبها مرأى الظلم يقع من أحد أعضائها على أخيه

فنحن نرى اليوم أمامنا دولة تعتز بقوتها الحربية تريد أن تمد سلطانها على دولة أخرى ممثلة معها قصة الذئب والحمل . ورأينا كيف أبى ضمير العالم أن يسكت على هذا الاعتداء فثار حنق الكتاب فى ارجنتين ومصر والسويد وقامت المظاهرات فى اليابان والولايات المتحدة وتطوع الالوف من الايرلنديين والروس وأهالي الكنغو والبرازيل راغبين فى الدفاع عن المظلوم ، ورفضت اليمن بيع الماء لجنود المعتدي وأضرب عمال جنوب أفريقيا عن ارسال اللحم . ولم يبق على سطح الارض دولة ولا مستعمرة لم تقتحم غمار العاصفة . وكان الدافع لهذا الغضب شعور انساني نبيل ينتصر للحق على القوة والعدل على الظلم دون النظر الى أية مصلحة مادية

وكان عهدنا بالفاتحين والغزاة قبل اليوم يكتسحون البلاد ويستعبدون الناس ويسبون النساء فلا يهتز العالم ولا تبالى بهم الشعوب البعيدة عن مظالمهم ! وكان عهدنا بأمثال قيصر ونابليون تقام لهم التماثيل وينظر اليهم بعين الاعجاب والتقديس !

فهذه المظاهرة الجديدة تحملنا حتى فى وسط العاصفة على التفاؤل بمصير البشرية وعلى الاعتقاد بأننا نسير الى الامام رغم ما نخوضه من مستنقعات وأن ضمير الانسانية قد تيقظ وأن مبادىء العالمية أخذت تتفشى فى أركان الارض وخير ما تمخضت عنه هذه الازمة السياسية أن أنظار الامم اتجهت كلها نحو عصبة الامم وقام مندوبو الدول ووزراء خارجيتها يؤيدون مبادئها ويطلبون

تطبيق العقوبات المدونة فى قانونها على المعتدى ، وكان الناس الى عهد قريب يسخرون بالعصبة ويرون فيها عاطلا ضعيفا فاذا بها وقد عادت اليها الحياة والقوة واذا بها يشعر الجميع أنها ضرورة من ضرورات العصر الحاضر

والحق أن كل من يؤمن بالتطور لا بد أن يرى العالم يسير من حسن الى أحسن وأن ما نراه اليوم من أزمات وانقلابات وتأهب للحرب ما هى إلا محن لم يخل منها عصر من عصور التاريخ وكلها تجارب لا بد أن تجتازها الانسانية لتسترشد بها فى صعودها نحو القمة المرجوة . ويقيني أنه اذا نشبت اليوم حرب عالمية تصب ويلاتها على البشر وتقتل عشرات الملايين من الضحايا فستكون الحريق الذى به تتطهر البشرية من تلك النزعة الحربية القديمة وتكون الدرس القاسى الاخير الذى يحبب السلم الى الناس ويدفعهم الى الالتفاف حول عصبة الامم والمناداة بالتعاون العالمى والتفرغ الي ترقية العلوم وأنظمة الحكم وحل المشاكل الحيوية العديدة بتحكيم العقل على العاطفة

فنحن ان كنا اليوم غيرنا بالامس ، فسنكون غيرنا فى الغد . وهذا الغد هو المستقبل المنير الذى تكافح الانسانية من أجله وتتعذب فى سبيل الوصول اليه . ونحن جميعا لم نعط هذه الحياة القصيرة بالنسبة الى الفرد واللانهاية بالنسبة الى المجموع لنتطاحن ونعتدى بعضنا على البعض الآخر بل لنتعاون لنرتقى ونتطور ونحقق غاية الحياة ، وليست للحياة غاية غير التطور . ونظرة الى الوراء ترينا جليا كيف تطورنا ونظرة الى الامام تنبؤنا على ضوء العلم أننا سنصل الى غاية لم نحلم بها

والخلاصة أن هذا الاضطراب الدولي وهذا التسابق الجنونى فى التسلح وهذه الازمات المختلفة لا تحمل وراءها نهاية العالم كما ينادي البعض ولا ينتظر منها القضاء على الحضارة وان هي إلا زوبعة وقتية يثيرها على الاحياء عدد من الساسة والمستبدين وأعداء الديموقراطية وستهدأ الزوبعة وسيظل موكب البشرية سائرا الى الامام

وكان المنتظر أن يتعظ الساسة والحكام بما أصاب العالمين فى الحرب الاخيرة ولكنهم دون تفكير فى العواقب ولا نظر الى المستقبل اجتمعوا فى فرساى وفى نشوة النصر أخذ الحلفاء الظافرون يقتسمون الغنيمة ويبدلون فى خريطة العالم رضيت الشعوب أم لم ترض . وفض المؤتمر وافترقت الدول فى طريقين . أما الظافرون بالغنائم نخشوا علي نصيبهم وأخذوا يطوقونه بالحصون والجيوش وأما الساخطون فبدأوا يعدون أنفسهم للانتقام واسترداد ما يرونه حقا لهم وبذلك بدأ التأهب لحرب أعظم وأفظع منذ معاهدة فرساى وتنافس الجميع سرا وجهرا فى ابتداع أحدث آلات الدمار وسخروا العلم والعلماء وأكثروا من المعامل الكيماوية والبكتريولوجية فى استنباط مواد

جديدة للحرب واذا بنا وقد انقلب العالم الي معسكر مدجج بالسلاح ينتظر الساعة المرقوبة

ويبدو لنا أن ما من سبيل لمنع مثل تلك الحرب العالمية وما من سبيل لاستتباب السلم وتهدئة الخواطر بغير تعديل معاهدة فرساى بروح العدل والتعاون . فتتحرر الشعوب المستعبدة وتتوزع المستعمرات بالعدل . ونظرة واحدة الى خريطة أوربا ترينا أن ألمانيا مثلا لم تعد تمتلك شيئا خارج بلادها فقد نزعت منها كل مستعمراتها وقصت أجنحتها من أوربا وضاعت منها الالزاس واللورين الغنية بالحديد ، وأخذت منها بلجيكا جهات ماليدى ويوبن الغنية بالغابات ، ورفع كل اشراف اقتصادى لها عن لكسمبرج ، واستردت منها بولنده أرضها القديمة بعد أن فصلت بين بروسيا الشرقية وبقية ألمانيا ، وأصبح ميناء دنتزج الالمانى ميناء حرا تشرف عليه عصبة الامم، وضمت ميمل الي لتوانيا . وهكذا ترى أن ألمانيا لن تسكت طويلا على ضياع أراضيها ولا سيما المستعمرات

أما النمسا فقد نالها غبن كبير وكانت قبل الحرب تكون مع المجر وحدة طبيعية تامة وبانحلال تلك الامبراطورية ظهرت مشكلات كبرى فى أواسط اوربا لأن النمسا أرض جبلية فى حاجة الى الحاصلات الزراعية وكانت المجر موردا هاما لتلك الحاصلات فكان التبادل بين أجزاء الامبراطورية القديمة ضروريا وميسوراً أما اليوم فقد فصلت النمسا عن المجر وحل بهما الفقر وحرمت كلاهما من ميناء بحرى لابد منه للتجارة . وفوق ذلك فقد فقدت النمسا جل صناعاتها لان تلك الصناعات كانت قائمة فى بوهيميا الغنية بالفحم والحديد ، وكذلك فقدت المجر مناطقها الصناعية التى ضمت الى رومانيا وتشكوسلوفاكيا . وهنا اضطرت النمسا الى التطلع نحو المانيا لتنقذها من ورطتها وخشيت الدول انضمامها الى المانيا لان فى ذلك تقوية للعنصر الجرماني فى وسط اوربا ولو كان فيه انقاذا للنمسا المسكينة التى لا تزيد مساحتها اليوم عن مساحة اسكتلنده ولايزيد عدد سكانها عن سبعة ملايين .

وقد دخلت ايطاليا الحرب العظمى فى جانب الحلفاء بعد أن كانت حليفة للنمسا لانها كانت تطمع فى امتلاك التيرول وترمى الي الاشراف على سواحل الادرياتيك الشرقية ليصير بحيرة ايطالية وقد تم لايطاليا امتلاك ميناء تريسته رغم أنه المنفذ البحرى الوحيد لتجارة المجر وامتلاك فيومي وهي أيضا المنفذ الوحيد لتجارة يوغوسلافيا وكذا اعطيت الجزء الاعلى والاوسط من نهر الاديج وفى هذا الجزء نحو ربع مليون نمساوى أصبحوا تحت الحكم الايطالي أما فى المستعمرات فلم تكسب ايطاليا شيئا ولم يكن لها فى افريقيا غير ثلاث مستعمرات صحراوية هي ليبيا والارتيريا والصومال ولا تزيد مساحة مستعمراتها عن سمائة الف ميل مربع يسكنها نحو مليون ونصف مليون نفسا وهى أقل من ممتلكات البرتغال أوهولنده أوبلجيكا . وهذا سبب تذمر ايطاليا ورغبتها فى استعمار الحبشة

وليست حدود تشكوسلوفاكيا الجمهورية التى تكونت بعد الحرب بحدود قومية لانها تضم عددا كبيرا من الالمان والمجرمين . ففى مقاطعتى بوهيميا ومرافيا نحو ثلاثة ملايين من الالمان أو ربع عدد سكانها تقريبا . وكذا تبلغ نسبة المجريين فى سلوفاكيا وروثنيا نحو ربع سكانها وعلى ذلك ففى هذه الجمهورية ثلاثة عناصر غير متحدة وغير متشابهة فى المدنية والثقافة . ولبعد هذه الجمهورية عن البحار باتت تحت رحمة المانيا التى تمتلك ميناء همبرج وهي المنفذ البحرى الوحيد لتشكوسلوفاكيا

أما رومانيا فقد كسبت بعد الحرب ولاية ترانسلفانيا وفى هذه الولاية من المجريين والالمان واليهود مايجعل الاقليات الاجنبية فيها اكثر فى مجموعها من العنصر الرومانى نفسه . وقد اتسعت حدود رومانيا بعد الحرب وتضاعف عدد سكانها فصار ١٨ مليونا منهم ثلاثة ملايين لاينتمون الى القومية الرومانية ولكن هذه الحدود الجديدة معرضة من جميع الجهات للغزوات الاجنبية لعدم وجود جبال تحمى تلك الحدود

تلك أمثلة قليلة مقتضبة تدل على ماينطوى عليه الروح الاوربي من تذمر يزيده ذلك النمط الشاذ الذى توزعت به المستعمرات فى انحاء الارض واذا ضربنا أمثلة قليلة لذلك نرى ان انجلترا مثلا وسكانها خمسون مليونا تسيطر على خمسمائة مليون نسمة أى ربع البشر . ومساحة انجلترا نحو ١٢١ ميل مربع تستولى على نحو ١٢ مليونا ونصف مليون من الاميال المربعة من الارض

وفرنسا التى يبلغ عدد سكانها نحو اربعين مليونا ومساحتها نحو٢١٢ الف ميل مربع فانها تمتلك من المستعمرات مامساحته خمسة ملايين من الاميال المربعة تقريبا وبها نحو ٤٥ مليونا من السكان .

وهولنده التى تبلغ مساحتها ١٢ الف ميل مربع وسكانها نحو سبعة ملايين فانها تمتلك ماتبلغ مساحته نحو ثمانمائة الف ميل مربع به اربعون مليونا من السكان .

وبلجيكا التى تبلغ مساحتها نحو احدي عشر الف ميل مربع تسيطر على مايقرب من المليون من الاميال المربعة ـ والبرتغال التى تبلغ مساحتها نحو ٣٥ الف ميل مربع تمتلك اكثر من ثمانمائة الف ميل مربع . أما المانيا والنمسا والمجر وبولنده وغيرها فلا تمتلك شيئا .

وتدل تلك الامثلة السريعة على أن توزيع المستعمرات سيسبب دائما مشاكل وحروبا وثورات أقربها مارأيناه من استيلاء اليابان على منشوريا ورغبة ايطاليا فى الاستيلاء على الحبشة واستعداد المانيا الحربى ورغبة الكثير من المستعمرات فى الاستقلال ؟

أوتار متقطعة

للاستاذ نعمة قاذان

لا أنت دارية ، ولا أنا مخبر
ـ فى ذمة الايام ما تجنى النوى ـ
لله مما تجهلين وأضمر ...

* * *

ياغاية عزت ، ولا عجب ، فكم   من غاية الوهم عنها يقصر
والنفس ان جمحت وراء رغابها   فلقد تعود ولا رغاب ـ فتعذر
لما رأيت الحب ـ زهر شبابنا   يزهى على زهر الربيع ويفخر
كفنت لذاتي بأحلام الصبا   ورجعت أعثر بالذى أتذكر

* * *

لله كم تغشى فؤادى رعشة   كذبيب نمل فى الدجى يتعثر
لا توقظى فى القلب أحلاما وهت   لو صوت الذكرى بها تتعثر
اني أضن بها بقايا مهجة   والجود ـ حتى بالبقايا ـ منكر
عنت على بالي أهازيج الصبا   فاثرت من الحانها مايسكر
فاذا بأوتار الشباب تقطعت   واذا الكمنجة فى يدى تتكسر
يهنيك أنك فى الصبا لك صبوة   وأنا الصبى على الصبا أتحسر
لا تأسفى نزت العيون بما نزت   ففداء عينك مهجة تتقطر
ان القلوب اذا تخرمها الهوى   رقت فصارت بالهوى تتأثر
جودي على قلب الحبيب بدمعة   فلرب ذابلة تعود فتزهر

دنيا ـ وقاك الله ـ اما ان سرت
شيعت آمالى الي قبر الهوى
ما أتعس الانسان حيا يقبر

نعمة قاذان



الالعاب الاولمبية
وأخبار الدورة القادمة

ليس من جديد نقوله عن الالعاب الاولمبية التي ستعقد فى العام القادم فى برلين سوى النشاط العظيم الذي يبدو من جميع الاقطار للاشتراك فيها . وليس شك فى أن عدد الذين سيدخلون المباريات المختلفة سيصل إلى الألوف وهذا زيادة على عشرات الألوف من المتفرجين . ويكفى أن يعرف القاريء أن ايطاليا وحدها قد قررت ايفاد ٤٠٠ رياضى الى برلين . وعلى هذا المثال يقاس سائر الأقطار

ومما سوف تمتاز به الدورة الاولمبية فى برلين سنة ١٩٣٦ سباق الزوارق وهى زوارق الاسكيماويين (كانو) وقد عين لها مكان يبعد عن برلين بمقدار نصف ساعة وجعل السباق نوعين أحدهما عشرة كيلومترات والآخر كيلو متر واحد . ومكان المتفرجين يكفل لهم رؤية المضمار من أوله إلى آخره . وستكون الزوارق مختلفة ولكن أكثرها سيحمل متباريا واحداً . وقد عينت ابعاد الزوارق عرضاً وطولا للفرد وللاثنين ولأكثر من ذلك . وقد صنع مدرج به ١٠٠ر٠٠٠ مقعد للمتفرجين وهذا غير الاماكن المعدة للواقفين

وأقام الألمان ١٣٠ منزل للرياضيين تحيط بها أشجار الغابة . وفى كل منزل عشر غرف غير الحمامات والمرافق . وبكل غرفة سريران . ولكل منزل بهو رحب سيستعمل لتناول الطعام ولراحة الرياضيين عند مايكونون فى حاجة إلى الاستجمام . وبجانب كل منزل فناء للتمرن

ومن ميزات الدورة القادمة اقامة معرض فنى للالعاب الاولمبية يحتوى على لوحات تختص بالالعاب الرياضية . ويشترط أن تكون الرسوم المعروضة لاشخاص كانت لهم مآثر رياضية منذ أول يناير سنة ١٩٣٢ وقد عينت مكافآت للرسوم الممتازة . وستنشد أناشيد أولمبية يشترك فيها ١٠ر٠٠٠ نفس ويرافق الاناشيد ألحان موسيقية . وهناك أناشيد أخرى يرافقها قرع النواقيس من الكنائس

ابواب المجلة الجديدة

١ – اخبار اقتصادية

٢ – اخبار اجتماعية

٣ – تقدم العلوم والفنون

٤ – المرأة والمنزل

٥ – الكتب الجديدة

٦ – حديث الادب والادباء



أخبار اقتصادية

أزمة العاطلين المتعلمين

كتب الاستاذ على محمد علوبة مقالا مفيدا فى هذا الموضوع ننقل منه مايلى :

(١) اشتدت نسبة البطالة على العموم بعد سنة ١٩٣١ وهى السنة التى صدر فيها قرار مجلس الوزراء بوقف الترقيات والعلاوات للموظفين وما تبع ذلك من صعوبه تعيين الموظفين الجدد

(٢) تزيد نسبة البطالة على العموم حيث تقل فرص الالتحاق بوظائف الحكومة

(٣) تهبط نسبة البطالة كثيرا بين متخرجي مدارس العلوم مثل الهندسة وكلية العلوم والطب عنها بين متخرجى مدارس الآداب مثل دار العلوم والمعلمين وكلية الآداب .

(٤) يزيد اقبال متخرجي المدارس المتوسطة خصوصا مدارس الزراعة على الاعمال الحرة نسبيا عن اقبال خريجي المدارس العليا على تلك الاعمال

هذه هي الصورة التى تبرزها لنا جداول الاحصاء ومنها يتضح مبلغ اعتماد الشباب المتعلم على وظائف الحكومة وقلة رغبته فى الالتحاق بالاعمال الحرة واشتداد قلة هذه الرغبة فيما يختص بأعمال التجارة وهذا نفسه هو مانعنيه بسوء توزيع الشباب المتعلم الذي تضخمت به بعض المهن حتى ضاقت به مع افتقار بعضها الي استخدام العديد منه

وفى الواقع لم تكن هذه الظاهرة الجديدة غير متوقعة بالنسبة لمصر فلقد مرت بها معظم الدول فى عصور انتقالها ونماء ثروتها نموآ اكبر مظاهره تحويل أغراض التعليم غير وجهته الاولى لتغذية المهن الجديدة بالرجال الذين تهيؤهم مؤهلاتهم لاشباع ماستجد من حاجات

فمن أعظم آثار النهضات الاقتصادية فى دولة من الدول زيادة قوتها الانتاجية فارتفاع مستوي المعيشة فيها فانصراف جزء من رأس مالها فى المال والرجال الى اشباع حاجات كانت تعتبر بالنسبة لها كمالية فأصبحت من مستلزمات رقيها المادى . وان الاتجاه السائد فى العالم الآن تبعا لرقيه المادى هو زيادة اقبال أبناء الدولة غير ذوى الاعمال اليدوية ، أى الشباب المتعلم ، على أساس الوساطة بين فريق المنتجين وفريق المستهلكين لتسهيل توزيع المنتجات وسرعة تبادلها وتلك هى أعمال النقل والتجارة والبنوك والسمسرة وما اليها . او قيام هذا الفريق من الشباب بالخدمات التى

يزداد الطلب عليها للانتفاع بها فى أوقات الفراغ التى هيأ أسبابها رقى الحياة الاجتماعية والتقدم المادى

وفى الحق ان شبابنا المتعلم فى مصر لم يدرك بعد أهمية هذا التطور المحتوم ادراكا يدفعه ألي توجيه جهوده الفكرية الى هذه الناحية والانتفاع بأبواب الاستخدام التى تفتحت أمامه . وكان من الطبيعى أن يتهافت عليها شباب الاجانب ويستأثر بها من دونه وأصبحنا نرى أن المسألة قد ازدادت تعقيدا بدخول هذا العامل الجديد فلم يعد الامر مقصورا على مجرد الهداية ولفت النظر الى أبواب الاستخدام الجديدة التى يكفى شبابنا مجرد الرغبة فى القفز اليها والعمل على تحقيق هذه الرغبة ، بل تعداه الى تهيئة الأسباب التى يتسلح بها الشاب المصرى للتغلب على منافسة الاجنبي الذى تزيده التجربة والمران خبرة فوق خبرته يوما بعد يوم

أدوات الصانع وحجزها

المعروف ان أدوات الصانع التى يعيش باستعمالها لا يمكن القاء الحجز عليها للدين . ولكن هذه القاعدة التى قلما تتبعها محاكمنا يجب ان نطلب التدقيق فى معناها

بل يمكن التوسع فى معنى الادوات التى يستعملها الصانع . فان ماشية الفلاح أى بقرته او جاموسته او حماره يجب أن تعد من هذه الادوات . وذلك أن كل انسان له ذرة من الاختبار يعرف أن هذه الماشية هى حاجة لا يستغنى عنها فلاح ، وهو بدونها صفر او كالصفر . ليست له قيمة فى اقتصاديات الزراعة . وربما يظن بعضهم أن هذه مبالغة فى حماية الفلاح والرأفة به وان هذه المعاملة تطمعه فى المماطلة . ولاشك أن بعض الفلاحين المماطلين ربما ينتفعون بمثل هذا التسامح . ولكن من العدل أيضا أن نجعل من ريع الارض سدادا للايجار دون أن نمس الماشية . فاذا نقص الريع عن السداد فهو البرهان على سوء التربة أو على اهمال المستأجر وعندئذ يمكن أن يستبدل به فلاح آخر او تصلح التربة

وأولئك الذين يظنون أن فى هذا الاعفاء لطعام الفلاح وفراشه وأدواته وماشيته تسامحا عظيما أو تعويقا لسداد الايجارات الزراعية يجب أن يذكروا أن الامتيازات التى يتمتع بها الفلاحون فى الاقطار الأخرى كبيرة ففى سويسرا مثلا لا يجوز بيع العقار سدادا للدين اذا كان هذا العقار منزل الاصرة الذى تعيش فيه ، وفى هولندا لا يجوز للمالك ان يطرد المستأجر ما دام يؤدى الايجار المطلوب منه الخ .

وقد سبق لنا ان حمينا المالك الصغير ومنعنا بيع ارضه اذا كانت خمسة افدنه أو أقل . وحماية الفلاح الاجير أولي منه ومن القسوة الفاضحة ان يخطف منه الذرة التي يأكلها أطفاله أوالجاموسة التي لا يمكنه ان يحرث او يروى بدونها .

قاعدة الذهب

كاد العالم المتمدين كله يخرج عن الذهب الا بعض الامم مثل فرنسا أو سويسرا ولكن هنا بعض الخطأ فان سويسرا قد استبقت نقدها على ما كان عليه قبل الحرب الكبرى بلا أدنى تغيير ولكن فرنسا خرجت عن الذهب عقب الحرب الكبري ثم انخفض نقدها الى مادون الخمس من الاصل . ثم عادت فثبتته على قاعدة الذهب ولكن بسعر لايزيد على الربع من أصله قبل الحرب . ومن الناس من ينخدع ببقاء فرنسا على قاعدة الذهب مع ان الحقيقة انها تستمتع بالنفخ او التضخم مثل أى أمة أخرى كما نري من هذه الارقام وهي تدل على قيمة الانخفاض الذى أصاب النقود عند مختلف الامم بالنسبة الى الاصل سنة ١٩١٤

بريطانيا ٤١ فى المائة

فرنسا ٨٠ فى المائة

اليابان ٦٧ فى المائة

الولايات المتحدة ٤١ فى المائة

ايطاليا ٧٤ فى المائه

اليونان ٩٧ فى المائة

دنمركا ٥٣ فى المائة

ونقدنا نحن فى مصر تابع للجنيه الاسترليني ولذلك انخفضت قيمة الجنيه المصرى بمقدار ٤١ فى المائة من أصله اى انه يساوي الآن نحو ٥٩ قرشا ولكن الفرنك الفرنسى انخفضت قيمته بمقدار ٨٠ فى المائة أى ان قيمته الآن هي خمس قيمته قبل الحرب الكبرى . وهذه الدولة التى نفخت نقدها الى هذا الحد هي التي تناضل الآن عن قاعدة الذهب وهى التى تطالبنا نحن بدفع ديوننا على هذه القاعدة .

وعندنا ان فرنسا تلتزم هذه القاعدة لاسباب سياسية لان ساستها والاقتصاديين من رجالها

يعلمون تمام العلم ان البلاد معذبة بالتزام الذهب وان صادراتها قد انحطت الى مستوي يكاد يشبه الافلاس ولكنهم يرفضون الخروج لشيئين : الاول ان فرنسا تستطيع أن تستخدم الذهب لتحقيق أغراضها السياسية فى اوربا والثانى أن الساسة يخشون غضب الطبقة الغنية من المالكين الذين يعيشون من دخلهم العقارى كالارض او المنازل . ويرى الساسة انهم اذا تركتهم هذه الطبقة ولم تسندهم فى الانتخابات فان البرلمان يعود فريسة للشيوعيين او للفاشيين .

الذهب فى العالم

قدر الموجود من الذهب فى مختلف بلدان العالم خلال سنة ١٩٣٤ كما يأتي مقدرا بالجنيه الاسترليني

الدولة	المقدار	الدولة	المقدار
مصر	٦و٤٠٠و٠٠	اليابان	٤٧و٧٦١و٠٠٠
فرنسا	٦٦١و١٧٧و٠٠٠	نروج	٧و٤٢٧و٠٠٠
بلجيكا	٧١و٥٦٥و٠٠٠	البرتغال	٦و٣٨٢و٠٠٠
دنمركا	٧و٣٣١و٠٠٠	اسبانيا	٨٩و٩٠٨و٠٠٠
اليونان	١١و٠١٣و٠٠٠	اورجواى	٩و٩١٢و٠٠٠
ايطاليا	٦٢و٨٥٤و٠٠٠	الولايات المتحدة	٩٩٩و٨٠٠و٠٠٠
لتوانيا	١و٨٣٧و٠٠٠	النمسا	٦و٩٩٨و٠٠٠
بولونيا	١١و٦٠٢و٠٠٠	تشيكوسلوفاكيا	١٣و٥٩٩و٠٠٠
روسيا	٨٦و٩٠٨و٠٠٠	المانيا	٣و٨٧٢و٠٠٠
سويسرا	٧٥و٧٢٢و٠٠٠	المجر	٢و٨٣٧و٠٠٠
الهند	٤٥و٠٠٠و٠٠٠	جاوة	٩و٣٧٢و٠٠٠
بريطانيا	٢٩٣و٦٧٠و٠٠٠	بيرو	٢و٢٦٩و٠٠٠
الارجنتين	٤٨و٩٧٢و٠٠٠	رومانيا	١٢و٦٨٧و٠٠٠
شيلي	٣و٥٧٣و٠٠٠	اسوج	١٩و٣٤٣و ٠٠
فنلندا	١و٦٧٠و٠٠٠	يوجوسلافيا	٦و٤٥٨و٠٠٠
هولندا	٩٠و٥٥٠و ٠٠		

ويتضح من هذا الجدول السابق ان مجموع الذهب الموجود في خزائن الدول بلغ في عام ١٩٣٤ اكثر من ٢٧٨٠ مليونا من الجنيهات أي ان هـذا الرصيـد الذهبي قد زاد فيما بين عامي ١٩٣١ و١٩٣٤ نحو ٦٨٥ مليونا من الجنيهات وهي زيادة لابأس بها خصوصا إذا علمنا أنها تجمعت خلال سني الازمة العالميه ودولاب العمل فيها كادأن يقف ، ويتضح كذلك أن الولايات المتحدة الامريكية هي اكثر الدول حيازة لهـذا المعدن وتليها فى ذلك فرنسا ثم بريطانيا العظمى . اما اقل الدول حيازة لهذا المعدن فهي دولة فنلندا إذ لايزيد مقدار الرصيد الذهبي الموجود فى خزائنها فى سنة ١٩٣٤ على ٠٠٠و٦٧٠و١ من الجنيهات .

التجار الذين يغشون ويطففون

كانت بلدية استامبول تنظر فى مشروع يرمي الى كتابة قائمة سوداء تنشرها البلدية بطرق النشر المختلفة عن التجار الذين يثبت عليهم أنهم يبيعون أصنافا مغشوشة او انهم يطففون الوزن ويظهر أن بلدية أنقرة قد سبقت بلدية استامبول الى هذا المشروع النافع الذى يصون حقوق الجمهور ففى الانباء الواردة اخيرا أن بلدية انقرة قررت الاعلان عن اسماء التجار الذين يبيعون المأكولات او المصنوعات المغشوشة او الذين يطففون فى الكيل والميزان او الذين يخالفون اللوائح البلدية بوجه عام وقد قابل الجمهور فى انقره هذا القرار بارتياح عظيم . ومن المنتظر ان تحذو البلديات الاخرى حذو بلدية انقرة .

الصناع الاجانب فى تركيا

كانت الحكومه التركية قد أصدرت قانونا يحصر الصناعات والحرف الصغيرة فى يد الوطنيين الاتراك ومنع الاجانب من الاحتراف بها وعند تطبيق هذا القانون كانت الحكومة التركية قد قسمت الصناعات الصغيرة الى سبعة اقسام وحددت مهلة قدرها شهران لكل قسم وآخر هذه الاقسام قد بدىء بتنفيذ القانون فيه اعتبارا من ٢١ مارس سنة ١٩٣٥ اى انه فى يوم ٢١ مايو الماضى انتهت المهلة الممنوحة لجميع الصناع الاجانب فى تركيا وكانت آخرها المهلة الممنوحة للقسم السابع وهم السماسرة والبناءون ومحترفوا صناعة الاخشاب كالنجارين ومن اليهم

ونتيجة ذلك أن جميع الصناعات الصغيرة قد انتقلت الآن الى ايدى الوطنيين الاتراك ويبلغ عدد الذين تركوا صناعاتهم الصغيرة من الاجانب فى استامبول بنحو ٣ آلاف صانع وقد سافر معظمهم الى بلادهم .

أخبار اجتماعية

مدينه هرر الحبشيه

وصف الاستاذ ابراهيم لقمان مدينة هرر الحبشية فى مقال مسهب ننقل منه مايلي :

يسرنى أن أضع أمام القراء الكرام وصفا دقيقا لمدينة « هرر » التاريخية القديمة التى كانت فى يوم من الأيام جزءا من مصر . وأحد أقسام تلك الامبراطورية الواسعة الى عهد قريب ، وقد بنيت هذه المدينة التاريخية ، منذ أربعمائة وخمسين سنة ومؤسسها هو « الحاج نور »

وتقع مدينة « هرر » على رابية عالية ، وعدد سكانها اليوم يربى عن الستين الفا ، وهى ضيقة الازقة قذرة جدا ، خلا بعض مساكن الافرنج ، كما أنه ليس فيها ادارة بلدية تنظم أحوالها الصحية وأكثر بيوتها من الطين ، وهى حقيرة منخفضة . وليس فيها سوي طريق واحدة تجرى فيها السيارات وهي طريق « فس مجالا » يعنى السوق الكبرى ، وفى هرر مستشفى فرنسى وبعض مدارس للمبشرين ومستشفى آخر لهم ، وكنيسة بل كنائس وجملة من القصور البديعة وقصر شامخ الاركان مرتفع البنيان كلف حكومة الحبشة مبلغا كبيرا ، وقد أنشأته بمناسبة زيارة الامبراطور « لهرر » لانها مسقط رأسه .

ويحدق « بهرر » سور قديم ، لكن الدولة الحبشية لاتألو جهدا فى ترميمه ، وهرر تكاد تكون المدينة الوحيدة التى تكثر فيها حوانيت الخمر والمطاعم ، ولها خمسة أبواب . فاذا خرج الأنسان الى خارج المدينة ينحدر الى مساكن الاوربيين ليجد نفسه فى فردوس من فراديس الدنيا فهي تشبه جزيرة أو صخرة عالية وسط بحر متلاطم بالامواج ، فاذا أطل المرء من نافذة بيته فى هرر رأى أرضا كأنها الجنة فى بهائها ورونقها واخضرارها وبساتينها المثمرة بلا انقطاع ماتعاقب الليل والنهار .

ويسكن هرر جمع خليط من الهرريين وهؤلاء لايسمون أنفسهم أحباشا ، ولا عربا ، ويأنفون من كل نسبة غير انتسابهم الي هرر الخضراء وهم مزيج من من الامم ولهم لغة مستقلة والكثيرون منهم يتكلمون العربية والحبشية والصومالية ، والحبشية نفسها تنقسم الى لغتين ، الامحاراء والقنو ، وفى هرر أحباش وصومال وعرب وافرنج ، غالبا من اليونانيين وبعض الارمن .

وأكثر الافرنج الذين فى هرر يديرون البارات والمطاعم العديدة فيها أما القناصل وأصحاب الوظائف فيقيمون خارج هرر وسكان هرر لاينقصون عن ٦٠ الفا من جميع الاجناس

ولا ترى فى هرر نوادى ولا جمعيات ولا محافل للعلوم والآداب وليس فيها مدارس تعلم اللغات الاجنبية سوى مدرسة للمبشرين ، ومن أغرب الامور أن لهم فيها ثلاث عشر سنة وهم يقومون بمهمتهم على أتم وجه دون أن يتمكنوا من استمالة أحد من المسلمين وكل ما هنالك أنهم استمالوا ولدا من الارثوذكس فحولوه برتستنتيا ، وهرر لو اعتنت بها حكومة الامبراطور ونظفتها وعمرتها وأصلحت الطريق اليها من جنجنة ومن دردوة فانها تصبح درة فى أرض الحبشة وزهرة فى مدن الشرق .

والجو فى هرر معتدل لا حرارة مهلكة ولا شمس ساخنة ، فالمطر يسقط غالبا رذاذا ، وينهمر فى بعض الاحيان فتملىء به الوديان وتدفق منه العيون وحول هرر خمسة أنهر يجرى ماؤها دائما عذبا سائغا للشاربين ، ومن المؤسف أن تذهب هذه الارض لقمة سائغة للاستعمار الايطالى لاقدر الله

مكافحة السل

قرأنا تقريرا أو خلاصة لتقرير عما تقوم به « جمعية المكافحة لمرض السل فى أسوج » وكان مما لفت نظرنا فى هذا التقرير نوع واحد من المكافحة نود لو نراه منفذا فى مصر . فانه سهل مأمون يبعث على الثقة ويخاطب فى الجمهور عواطف البر ويغتنم من الوقت أحسن الفرص لهذا البر

ففى أسوج مايسمى « التلغراف الفاخر » ومعنى هاتين الكلمتين أن مصلحة التلغراف يمكنها أن تكتب الرسالة التلغرافية على ورق فاخر مزخرف بالمداد الاحمر أو المذهب إذا رضى مرسلها أن يزيد على الأجر خمسة مليمات أو عشرة مليمات . وهناك فرص كثيرة يستحسن فيها ارسال هذا التلغراف كما يحدث عند التهنئة بالزواج أو الخطبة أو الترقية أو نيل العلاوة أو الحصول على شهادة أو القدوم من سفر أو غير ذلك من المناسبات . ففى هذه الاحوال لايبخل أحدنا بأن يختار ورقا فاخرا مزخرفا لكى يثبت للمرسل اليه حبه أو ولاءه وكل ما يكلفه هذا الورق لايزيد على ٥ مليمات أو ١٠ بل الواقع أن فى مثل هذه المناسبات لايجرؤ واحد على التهنئة بالتلغراف على الورق العادى لانه يتهم عندئذ بالبخل الدنىء

وهذه المليمات تجمع فى النهاية وترسل من مصلحة التلغراف الي هذه الجمعية التى ذكرناها . وهي ترصدها لخدمة الاطفال الفقراء الذين يشهد الاطباء بأنهم قد وقعوا فى هذا المرض — مرض السل أو هم يرشحون للوقوع فيه من ضعف يعانونه مثلا فى أجسامهم أو رئاتهم .

وهذه الجمعية لاترسلهم الى المستشفي لان العمل من شأن الحكومة . وانما هي ترسل هؤلاء الاطفال الفقراء الى الاسر التي تعيش فى الريف حيث الهواء الطلق والشمس الصاحية والغذاء الفطرى الذي تطلبه أجسام هؤلاء الاطفال من اللبن الوافر الي اللحم الطازج الى الخضراوات المنزوعة من الحقل يوم طبخها . وقد استطاعت هذه الجمعيـة فى العام الماضى أن تحصل من هذه « التلغرافات الفاخرة » على ٢٧،٤٠٠ جنيه أنفقتها علي ٤٥٠ مسكن تؤوى ٢٣٤٠ طفل فى مساكن الاسر الريفية . كما أنفقت مقدارا كبيرا من هذا المبلغ على ٧٨٠٠ طفل كان يخشى عليهم الوقوع فى هذا المرض

والريف بالطبع فى أسوج هو غير الريف فى مصر والمقابلة هنا لاتثير فى النفس غير الحزن والالم . ولذلك فاننا لم نذكر هذه الجمعية لكى نقول انه يمكن أن يرسل الاطفال أو الصبيان الذين وقعوا فى المرض أو يخشى عليهم الوقوع فيه الى منازل الريف عندنا . بل انما قصدنا الي وصف الطريقة التى جمعت بها هذه الجمعية هذا المبلغ الكبير لانفاقه على هؤلاء الصبيان

الجامعات الامريكية

لم يكن فى الولايات المتحدة الامريكيه فى سنة ١٩٢٠ اكثر من ٧٤٠ الفا من الطلبة فما مضت عشر سنوات حتى كان العدد ١٠٣٧٠٠٠ من الطلاب

ويتوزع هذا العدد على ٦٢٠ جامعة وكلية « والكليات الامريكية تقل عن الفرنسية شأنا فى الاهمية والمناهج »

وقد بلغت نفقات التعليم فى هذه المعاهد ٥٧٧ مليونا من الدولارات فى سنة ١٩٣٤

ولكل من الولايات ال ٤٨ جامعتها ولكن المعاهد الرسمية أقلية لاتذكر بجانب الجامعات التى أسسها وتعهدها الافراد

ففى تشيكاغو مثلا جامعتان خاصتان « غير رسميتين » فيهما كل أنواع الكليات والمنابر العامية المختلفة . وفى جامعه الاحياء الجنوبية ٨٤٢ من الاساتذه و٩٣٨٨ من الطلبة

واكبر جامعة امريكية هى جامعة كولمبيا فى نيويورك وفيها ٢٨٠٠ من الاساتذة و٢٨ الفاً من الطلاب . ثم هرفورد فى مدينة كمبردج بولاية مساشوستس وفيها ١٦٩٢ من الاساتذة و ٣ر٧٩٦ من الطلبة

وللدلالة على غنى الجامعات الخصوصية الغير الرسمية ، نقول ان رؤوس الاموال التى تحت تصرفها بلغت مليارا و٣٢٠ من الدولارات . مع ان مال الجامعات الاميرية لايتجاوز ١٣٦ مليون من الدولارات .

وعدد الكتب المجموعة فى مكتبات الجامعات الخصوصية ٣٢ مليونا من المجلدات . وليس فى مكتبات جامعات الحكومة إلا ١٣ مليونا من المجلدات . . فليتأمل القراء ! . .

الجوع مع الوفرة

يؤخذ من احصاءات خمسين من أقطار العالم انه مات من الجوع فى العالم فى السنة الماضية نحو مليوني نسمة وان اكثر من مليون آثروا الانتحار على الفقر المدقع وعيشة الذل

بينما نقرأ هذا فى صحيفة اوربية نطالع فى الوقت نفسه فى صحيفة اخرى انه بسبب الازمة العالمية ووفرة الانتاج وهبوط الاسعار فى جميع المحصولات والعروض بقى هناك ٢٥٨٠٠٠ طن من السكر وستة وعشرين مليون طن من الرز وخمسة وعشرين مليون طن من اللحم المقدد بخلاف كميات كبيرة من القمح والبن والقطن لم تصل الى الاسواق لانها احرقت جميعها

فما هو الجواب على هاتين الحالتين المتناقضتين هل هو السياسة الاقتصادية العقيمة التى تجرى عليها الدول ؟

دوجلاس فى كندا

يعرف القراء الميجر دوجلاس صاحب نظرية « الاعتماد الاجتماعى » فانه يقول انه مادامت السلعة تباع بأثمانها الحاضرة فان الجمهور يعجز عن استهلاك المنتجات . وينشأ عن عجزه اقفال المصانع وعطل العمال ، وهذا العطل نفسه يزيد العجز لان العمال هم اكثرية الجمهور وحرمانهم وقت العطل من الاجور يجعل الجمهور عاجزا عن الاستهلاك . وعنده ان هناك فرقا بين « الثمن الحقيقى » للسلعة و« ثمن السوق » الذى تباع به . وان الجمهور يجب ان يشترى الاشياء بأثمانها الحقيقية وهى لاتكاد تبلغ نصف الاثمان التى تباع بها الآن والفرق بين الثمنين تؤديه الحكومة لاصحاب المصانع والمزارع من البنكنوت الذي تصدره . وبديهي أن الميجر دوجلاس لايؤمن بقاعدة الذهب لانه يجد فيها تقييدا او حصرا لمقدار النقود الذى تتعامل به الامة وهذا الحصر يحول دون قدرتها على الاستهلاك . بل الواقع ان نظريته كلها تنحصر فى زيادة النقود . اما سائر الشرح لهذه النظرية فهو فى تبرير هذه الزيادة

وقد لقيت هذه النظرية صدى بعيدا فى انحاء العالم . بل من الحق ان نقول ان الرغبة العامة

بين جميع الامم ـ عدا فرنسا وهولندا ـ فى الخروج عن قاعدة الذهب والاكثار من النقود وخفض قيمتها يعزى إلي حد ما الى نظرية الميجر دوجلاس فان القوة السحرية التى كانت الحكومات تعزوها الى الذهب قد زالت والقداسة التى كانت تمسح على قرارات البنوك الكبرى قد تضعضعت واجترأت الحكومات على طبع البنكنوت بهمة تزداد سنة بعد أخرى . وكثر لهذا السبب الاقتصاديون الجدد الذين يدعون الى زيادة النقد باساليب مختلفة . وفى الولايات المتحدة اربعة من هؤلاء هم الدكتور تونسند والاب كوجلان المرحووم الشيخ هوى لونج والاديب ابتون سنكلير. ولهم الآن من الاتباع ملايين يخشى خطرهم على انتخاب الرئيس روزفلت للرياسة

ويعرف القراء كندا وهى المستعمرة البريطانيه المستقلة التى تقع فى شمالى الولايات المتحدة وسكان هذه المستعمرة يعيشون فى أرض بكر تتسع من حيث المحصول لقوت مائة مليون نفس ، وسكانها الآن نحو عشرة ملايين وهم يتزايدون بسرعة عجيبه إذ كانوا سنة ١٨٩١ لايزيدون علي ٤٨٨٣٠٠٠ . ولكن مع سعة الارض وقلة السكان فان الخير المنتظر من مثل هذه الظروف قد عاقته الانظمة المالية القائمة ، ولذلك لم يسلم السكان من احراق القمح الى جنب الفقر المدقع

ويعرف القراء أيضا أن كندا هذه تنقسم تسع ولايات كل منهن مستقلة استقلالا داخليا لها برلمانها ووزراؤها على أصول النظام المتبع فى المستعمرات الانجليزية المستقلة مثل استراليا أو زيلندا الجديدة . ومن هذه الولايات ولاية تدعى البيرتا يبلغ سكانها ثلاثة ارباع المليون وقد رأى فريق من ساستها ان الحالة التى تؤدى الى احراق القمح يجب ألا تبقى فى البيرتا . فالفوا حزبا يدعو الى انفاذ الآراء والنظريات التى يقول بها الميجر دوجلاس وكسبوا الانتخابات للبرلمان . ويرجع نجاحهم الى ان الفلاحين هناك مدينون والعطل كثير مع ان البلاد تتسع فى خيراتها لعشرة اضعاف سكانها الحاضرين . ورئيس هذا الحزب يدعى المستر أبيرهارت وقد رفض هو نفسه تولى الرياسة للحكومة واستدعي الميجر دوجلاس من لندن وطلب اليه انفاذ برنامجه

فلبى الميجر دوجلاس هذه الدعوة وسافر الى البيرتا . ولا بد أن جميع الذين يهتمون بالاقتصاديات الحديثة سينظرون مع الشوق بل الشغف الى ماسوف يقوم به الميجر دوجلاس هناك . ونظريته كما قلنا تنحصر فى بيع المحصولات أو المصنوعات بأثمان لاتبلغ نصف أثمانها الحاضرة ثم يعوض أصحاب الارض أو المصانع عن الفرق فى الثمن بنقود ورقية تصدرها الحكومة أى حكومة البيرتا

واذا خاب دوجلاس فى انفاذ نظريته فان الامل يحل المعضلة القائمة وهي التفاوت الهائل بين الانتاج العظيم والاستهلاك القليل سيضعف عند جميع المفكرين . وذلك لان هذه النظرية هى آخر ما أنتجه رأس مفكر فى هذه الفوضى الاقتصادية التى تعم العالم

تقدم العلوم والفنون

هـــنري بربوس

ذكرت التلغرافات أن بربوس الكاتب الفرنسى مات فى موسكو . وكان آخر أعمال بربوس تكوين مؤتمر الكتاب العالمى لحماية الثقافة وهو صاحب القصة « النار » . وهو الذى ارتفع صوته حاراً مع رومان رولان داعياً للسلام فى مؤتمرى أمستردام ويليل فى سنتى ١٩٣٢ و ١٩٣٣ . وقد كان حركة دائمة لخدمة العمال

هذا هو بربوس الذى يبكيه عمال فى الصين واليابان كما يبكيه عمال اوربا . وقد شيعه عمال روسيا واستقبله اخوانهم الفرنسيون بأسف وإجلال واستودعوه مقره الأخير

ولد فى قرية أسينير فى فرنسا سنة ١٨٧٣ . وبدأ حياته الأدبية بديوان شعر وقصتين . وتطوع فى مشاة الجيش الفرنسى حين اندلعت الحرب الكبري منخدعا كما انخدع ملايين الشبان الآخرين. وأصيب بالغاز فظل ينقل من مستشفى إلى آخر وقد كتب كتاب « النار » فى ١٩١٦ . وفى هذا الكتاب دون ذكريات فرقة اشتركت فى تلك المجزرة وعرض حقائق الحرب عارية . وعن هذا السؤال « لماذا يدفع الشعب إلى الحرب » وأجاب « للدفاع عن وطن يسرقه أصحاب معامل الذخيرة أمثال كروب وشنيدر »

نال هذا الكتاب جائزة جنكور ١٩١٧ وترجم إلى لغات عدة . وقد قدم إلى الجنود الفكرة الانسانية سامية صريحة بعد أن كانوا يتغذون بأكاذيب الدعايات وخداع السياسيين وكان ذلك مقدمة لما فعل بعد . فأسس بربوس مع ثلاثة من أنصاره الاتحاد الجمهورى للمحاربين القدماء فى مارس ١٩١٧ بباريس . وأسس بجنيف ١٩٢٠ اتحاداً عالمياً للمحاربين القدماء فكانت المرة الاولى التى تقابل فيها رجال تقاتلوا فيما بينهم

وفى تلك السنة أيضاً أسس مجلة « الضياء Clarte » غرضها جمع المفكرين لخدمة العدالة والثقافة الانسانية ، وفيها كتب قصته « الذي كان سيكون : كلمات مقاتل ، القيود »

ومنذ ذلك الوقت وهو يشترك فعليا فى المؤتمرات العالمية ضد الفاشية والاستبداد ولخدمة العمال دون أن يهتم بصحته التى كانت تزداد ضعفاً على ضعف . لقد كان حقاً على مثال أبطال رومان رولان صديقه

وبعد أن كتب عدة مؤلفات : الجلادين ، ماذا يعمل فى جورجيا وروسيا ، يسوع يهودا

يسوع ، السمو : وأسس فى ١٩٢٨ مجلة « العالم Monde » التى كان محررها إلى آخر حياته فجعل منها منبراً لمكافحى الحرب والاستعمار والظلم الاجتماعى وللمدافعين عن الثقافة .

وفى ١٩٣٢ اشترك مع رومان رولان وأندريه جيد ومكسيم جوركى فى جماعة الكتاب والفنانين الثوريين فى لسان حالها « المجتمع Coumune »

ثم عاد مع رومان رولان الى مؤتمرى أمستردام ويليل وكان نتيجة جهده ادماجهما فى جماعة واحدة لكفاح الحرب والفاشية ١٩٣٣ . واشترك فى مؤتمرات عدة كان آخرها مؤتمر الكتاب العالمى للدفاع عن الثقافة ١٩٣٥ بباريس وفيه ألقى محاضراته عن « الشعب والثقافة » بالرغم من تقهقر صحته . وسافر الى روسيا وألف هناك كتابه الأخير « ستالين » . وبقى ليدرس الحالة الاجتماعية الحاضرة الى أن سقط صريع الاجهاد وذات الرئة

هكذا ضرب بربوس فى كل مناحى حياته مثل العظمة والشجاعة والصراحة . وهو غير الكتاب الفرنسيين ومفكريهم الذين أخضعوا ضميرهم لقوة الرأسماليين واتخذوا من تملكهم سلما الى الاكاديمية

وهكذا سيبقى هنرى بربوس مثال الفكر الحر

رصف الشوارع بالأحجار

ومن المسائل الهامة التى قدرتها الدول الأجنبية حق قدرها مسألة رصف الشوارع بالأحجار المربعة الشكل بدلا من الأسفلت الحالى وقد اتضح أن الاسفلت لا يقوى على الاحتمال ويتأثر بالحرارة وخصوصا فى البلاد الحارة . واذا كان هذا الأمر قد لفت نظر ولاة الأمور فى أوربا فكيف لايلفت النظر فى مملكة كمصر شتاؤها كصيف أوربا ؟ واذا قال الكثيرون بأن الأحجار المذكورة تتكلف أكثر مما يتكلفه الاسفلت فانهم ينسون فى هذه الحالة الاصلاحات العديدة التى تجرى فى شوارع الأسفلت التى يلزم لها من حين لآخر الترميم والتصليح حتى أنه اذا لزم للمجارى مثلا أو لأشرطة الترام أي تصليح فى الطرق الأسفلتية اقتضى ذلك ازالة الاسفلت حتى تتم هذه العملية وفى هذه الحالة يكون التنظيم أمام أمر واقع وهو وضع الاسفلت من جديد وهكذا .

أما الأحجار (وخاصة أحجار الجرانيت) فانها تقف على احتمال الطبيعة وتستمر حافظة لصلابتها ومرونتها مدة ٢٥ عاما فضلا عن أن لونها يصبح جميلا بمضى الوقت عليها نظرا لتآكل خشونتها بالاحتكاك مما يعطيها لونا مقاربا للون الحجر الأصلى المصقول .

وفضلا عن ذلك فان السيارات وعربات النقل تسير على هذه الأحجار بسهولة وراحة تامة ولا تتعرض الشوارع المرصوفة بها عادة لما تتعرض له شوارع الأسفلت وغيرها من التكسير

والاصلاحات المتكررة من حين لآخر الخ — وإذا لزم أى تصليح فيهـا أمكن خلع الأحجار ثم تركيبها نفسها بسهولة . وبخلاف ماتقدم فان معظم مواد الأسفلت تستوردها مصر من الخارج مع وجود محاجر الجرانيت الواسعة بأسوان كما ذكر الخ . وأما شوارع الأسفلت فانها تحتاج الى التصليح الدائم كل عامين

الغازات واتقاؤها

أصدرت وزارة الشؤون الداخليـة البريطانية كتابا يباع بستة بنسات تحت عنوان « كتاب الاحتياط من الغزوات الجوية » ويجدر بالذين تشغل بالهم حرب الغازات والطائرات أن يقرأوه

وحرب الغازات هى قسم من الحرب الجوية . لأن الذى يلقى قنابل الغـازات هو الطائرات . وهذا على الأقل هو مايقوله هذا الكتاب : ولكننا نعتقد أنه فى مصر يمكن بارجـة حربية أن ترسل الينا الغازات من عرض البحر فى أى نقطة شمال البلاد لان انتظام الرياح الشمالية يكفل سيرها إلى الجنوب نحو السكان بلا أى خطر على البارجة

ولكن خطر الطائرة أكبر . لانها تختار المدن دون الريف وتلقى قنابلها التى تنفجر فى الشوارع أو المنازل وتتفشى الغازات منها . وفى الوقت نفسه تحبسها الجدران القائمة فلا تنبسط وتتبدد كما هو الحال فى الريف . لان الغاز حين يقع لايصيب غير عدد صغير من السكان

والقارىء لهذا الكتاب يشـعر أن جهنما قد انتقلت من العالم الآخر إلى هـذا العالم حتى أن إحدى المجلات وهى تعرض الكتاب اقترحت على وزارة الشئون الداخلية أن تخزن مقداراً من المورفين (خلاصـة الافيون) وتوزعه على السكان لكى تعطى جرع منه لمن تصيبه الغازات حتى يموت ويطيق موته فلا يتألم بما تتجاوز الطاقة الانسانية تحمله

والكتاب يؤيد الرأى القائل بأن مكافحة الغازات المكافحة التامة غير ممكنة حتى أن المستر بلدوين رئيس الوزراء يقول « ان المكافحة المجدية هى الهجوم على مدن العدو وضرب السكان هناك قبل أن يضربونا هم »

ويرى الكتاب أن الوقاية الحقة فى بريطانيا تكلف الحكومة مبلغاً يتراوح بين ١٠٠٠ و ١٥٠٠ مليون جنيه تنشأ به إلى جنب كل مدينة أماكن خاصة لها جدران عالية ويمكن اقفالها اقفالا محكما بحيث يدخل فيها جميع السكان ويبقون إلى أن تنزاح الغازات ولما كان هذا الاقتراح لايمكن العمل به فان الكتاب يشرح طرقا أخرى للوقاية يمكن الفرد والمجالس المحلية أن يقوموا بها . ولما كانت حرب الغازات هى (فى بريطـانيا) حربا جويا فلا بد من الوقاية من شيئين هما قنابل التدمير وقنابل الغازات

فقنابل التدمير تدمر المنزل وتصيب الطبقات العليا . وقنابل الغازات تصيب الطبقات السفلى لان الغازات ثقيلة أثقل من الهواء وهى لذلك تلبث أياما بل أسابيع . واحيانا تنفجر القنبلة الغازية سائلا يتبخر غازات قاتلة فتبقى مدة طويلة وهو يؤدي هذه المهمة الوبيلة . وأنت وحظك فى هذه الغزوات الجوية . فاذا كنت تخشى القنابل المدمرة فأسكن أسفل الطبقات أو حتى البدروم . وإذا كنت تخشى الغازات اسكن أعلاها

ولذلك يكون الريف آمن مكاناً من المدن فى مثل هذه الاحوال . والامن هنا نسبي وليس مطلقا ولكن الكتاب ينصح بأن يختار كل انسان فى منزله غرفة رحبة تكفى جميع الاسرة . ثم يهىء لها النوافذ والأبواب بحيث يمكن اقفالها وقت الغارة اقفالا محكما ويبقى فيها أعضاء الاسرة حتى ينقشع الغاز

سلالات الكلاب



يرى القارىء هنا صورة كلبين بالغين ولكن أحدهما يزيد على الآخر فى الوزن نحو خمسين ضعفاً . والكلب الكبير هو من سلالة سان برنار والثانى من سلالة تيريار . ولولا التفاوت الكبير بينهما فى الجرم لتلاقحا .

ولكنهما على الرغم من ذلك يتعارفان وكل منهما يشعر مع الآخر انه ليس غريبا عنه . وقد أوجد الانسان مئات السلالات بين الكلاب بالانتخاب وتعيين التلاقح بدلا من أن يتركه جزافا

المرأة والمنزل

نصائح الى الامهات

بقلم الصحفية الفرنسية سوزان نورمان

اليكن أيتها الامهات عشر نصائح لو عملتن بها لاستطاعت أقلكن تعلما وثقافة أن تنشىء أبناءنا نشأة حسنة تعود على البيت كله بالرغد والسعادة :

أولا — دعى المدرسة تهتم بحشد المعلومات فى رأس ولدك . وخذي أنت بمبدأ التربية عن طريق الملاحظة والتجربة . حاولى أن تكشفى لولدك عن حقائق هذه الدنيا لا بواسطة الآراء والمبادىء النظرية بل من طريق لفت نظره الى الواقع . فاذا ما أردت العدول به عن ارتكاب فعلة وضيعة فلا تكتفى بأن تشرحى له نتائجها بل تناولى حادثة بارزة من الحوادث اليومية تتجلى فيها تلك النتائج واضحة جلية وهكذا ينتفع ابنك بنصيحتك . واعلمى أن القوة المسيطرة على الصبي هى قوة الواقع المحسوس . فهو لا يؤمن إلا بها ولا يصدق إلا مايرى أما الارشادات النظرية فلا تؤثر فيه فتيلا .

ثانيا — تجنبي العقوبات البدنية ما استطعت فالعقوبة البدنية تذل النفس وتبتلى الصبي بأدواء الخوف والكذب والنفاق وفقدان الكرامة .

ثالثا — وازنى بين الحنان والصرامة فى تربية ولدك : واعلمى أنه لن يحترمك فى المستقبل إذا أسرفت فى الحنان أو اذا أسرفت فى الشدة والصرامة

ثالثا — إياك واشعار ولدك الخلافات التى تدب بينك وبين زوجك . فلا شيء يفسد نفس الصبي مثل رؤية الشجار ينشب بين المخلوقين اللذين يعتقد أنهما المثل الأعلى فى كرم الاخلاق والشرف

رابعا — دربى أولادك على الاقتصاد فان من يقتصد فى نفقاته وهو صبي يقتصد فى عواطفه وميوله وغرائزه وهو رجل كبير

خامسا — اشرحى لأبنائك فى أسباب تاريخ وطنهم وتخيري أمجد الحوادث وأروعها واتخذى منها مادة حديثك اليومى . أما ابطال التاريخ فيجب أن تشعرى أولادك بأنهم بشر مثلنا وأن فى وسعنا جميعا الاقتداء بهم

سادسا — لا تكذبى أبدا ولا تكذبى على الأخص أمام أحد أبنائك فالكذبة الصغيرة التى تخرج من شفتى الأم تكفى لتسميم أخلاق الصبي إلى الأبد

سابعا — أطيعى زوجك يدين أولادك لك بالطاعة ويشعرون أن للبيت رئيسا يجب أن يحترم ويطاع

ثامنا — إياك والتسامح مع أبنائك فى هفوة من الهفوات مهما كانت بسيطة . إذ التسامح يشجع على الاستخفاف وهو فى الحقيقة رأس الرذائل

تاسعا — علمى أبناءك أن النظافة هى التى تميز الانسان عن الحيوان بعد الادراك والعقل

عاشرا — اغرسى فى قلوب أبنائك حب الوطن وخوف الله

قوانين الحشمة في أمريكا

أصدر ولاة الأمور فى « يونكرز » من أعمال ولاية نيويورك قانونا يحظر على الفتيات اللواتى فوق السادسة عشرة من أعمارهن ارتداء القمصان القصيرة وأثواب الاستحمام التى تكشف أعضاء الجسم على مرأى من الأنظار العامة فى المصايف

وفرضت العقوبة على من تخالف ذلك بتغريمها ٣٠ قرشا أو سجنها شهرا من الزمن . ولقد ألقى القبض أخيرا على خمس فتيات بسبب مخالفتهن القانون المذكور وأنفذت فيهن عقوبة الغرامة حتى أرغمت الكثيرات غيرهن من المصطافات على ارتداء قمصان طويلة حين مرورهن ببلدة « يونكرز » فاذا اجتزنها استبدلن بالقمصان

الزواج بين الاقارب

ثبت اليوم من ابحاث بعض العلماء أن الزواج بين الأقارب قد يفيد أكثر كما يضر ، فاذا كان فيهم مرض فالزواج بينهم يقويه فى نسلهم وإذا كانت فيهم صفات عالية وصحة كاملة فالزواج بينهم يزيدها وينميها فى نسلهم أيضا ، وقد جاء هذا الباحث بأمثلة عديدة لتأييد رأيه

الطفل الاعسر

المألوف بين الادباء ان الطفل الأعسر أى الذى يستعمل يده اليسرى بدلا من اليمنى انما نشأ على ذلك لاهمال والديه تربيته حتى رسخت فيه هذه العادة . ولكن الحقيقة خلاف ذلك لأن هذا العسر يولد مع الطفل طبيعة فيه . ولهذا يجب ألا يقهر أو يضرب لكى يستعمل يده اليمنى ومن الممكن بالمحاسنة والترغيب أن يجعل الأب أو الأم ابنهما الأعسر يتعلم التناول باليد اليمنى . ولكنه لن ينسى أن يده اليسرى خير منها واسرع فى التلبية وارشق فى التناول . وهو عند مايخلو الى نفسه يستعملها دون اليمنى

والقهر أو ضرب الطفل لكى يستعمل اليد اليمنى هو تعذيب للطفل . وقد ألقى ساتون محاضرة عن عاقبة هذا القهر فقال انه يؤدى الى لعثمة اللسان وقد وجد بالأحصاء أن كل الف شخص يوجدمنه ٣١ منهم يعانون علة اللعثمة . وأن ربع هؤلاء ولدوا عسرا وأوقع بهم آباؤهم عقوبات مختلفة لكى يجعلوهم يستعملون الأيدى اليمن

الاطفال والضحك

يقول الأستاذ فالتنين فى محاضرة القاها فى اجتماع المجمع العلمى البريطانى عن ضحك الأطفال ما يأتى :

يضحك الطفل أو يبتسم ابتسامته الأولى الخفيفة فى اليوم العاشر لميلاده وفى اليوم السادس عشر يسمع صوت ضحكه وفى اليوم الحادى والعشرين يقهقه قهقهة صغيرة . وبعد ذلك يضحك عند رؤيته الطعام ويزداد ضحكه اذا وضع الطعام امامه . ويردد الضحك حينما يصل الى الشهر الثالث فاذا ضحك أمامه ضاحك رد عليه بالمثل . ويضحك ضحك التعجب فى الشهر الرابع ويضحك فى الشهر السادس من تكرار حركة واحدة ، ويضحك عند بلوغه السنة من الفرح أو التهيج

النساء والخدمة الجوية

ورد فى نيويورك أمريكان أن أكثر من مائتى سيدة يعملن الآن فى الخطوط الجوية الامريكية على الطيارات بصفة ساهرات على راحة الركاب وتوفير أسباب الترفية لهم مدة السفر فى الطيارة

وقد اختارتهن ادارة النقل الجوى من صغريات السن الحسناوات العارفات بالخدمة ولهن أيضا ميزة الخوض فى شتى من الموضوعات الأدبية

وبعضهن يعملن بوظيفة مرشدات للسياح يقدمن المعلومات ويصفن المناطق التى تجتازها الطيارة ولهن بعض الألمام بالظواهر الجوية وفى وسعهن الكلام فى السياسة والتمثيل وفيهن من تجيد بعض العاب الميسر

ولا ينبغى أن تزيد سن احداهن على ٢٥ سنة وأن لا يكون وزنها إلا بنسبة معلومة وأن لا تكون متزوجة

كتب الشهر الجديدة

تحليل نتائج التعداد فى مصر

تأليف الدكتور السيد صبرى صفحاته ٢٢٤
بقطع ضعف هذه المجلة طبع بالمطبعة الاميرية ببولاق

قلنا ذات مرة اننا يجب أن نستعيض عن قواعد البلاغة والبيان والمعاني التى تعلم لصبياننا فى المدارس مجموعة من الاحصاءات المفيدة التى توقفهم على الأحوال الاجتماعية والاقتصادية للأمم والطبقات . ولكن لو سألنا واحد حين قلنا هذه الكلمة . وكيف تقدم هذه الاحصاءات لهم لشق علينا الجواب

ولكن الآن لايشق هذا الجواب . فان هذا الكتاب الذى أنفق فيه مؤلفه مجهود السنين لاستخراج النتائج الاجتماعية جدير بأن يسد هذا الفراغ . ولسنا نقول انه يمكن الصبيان أن يقرأوه ويفهموه فانه أوسع وأشمل من هذا الغرض . ولكن يمكن أن نستخرج منه مع ذلك خلاصة موجزة تدل صغارنا على حالة بلادنا . وليس فى الدنيا أفصح من الارقام ولا أبلغ منها إذ هى لاتكذب ولا تجرى وراء الخيال . وهي هنا تؤلمنا بفصاحتها أشد الالم . فان المؤلف رجع الى الاحصاءات التى عملت سنة ١٩٠٧ و ١٩١٧ و ١٩٢٧ ثم استخرج منها النتائج الاجتماعية كما ترى من فهرست الفصول :

زيادة وتزاحم السكان . سكان الريف والحضر . الذكور والاناث . السن . الحالة المدنية . الحرف والصناعات . الحالة العلمية . الجنسيات . العاهات . ثم ملحقان عن الزيادة فى سكان المديريات بالوجهين البحرى والقبلى

ومما يؤسف له كثيرا أن الحكومة لم تطبع من هذا الكتاب سوى ٣٠٠ نسخة . مع أنه سوف يكون مرجعا عظيما لجميع المشتغلين بالاقتصاديات أو الاجتماعيات فى هذا القطر وقد أوضح المؤلف استنتاجاته بغرافات أى رسوم بيانية كبيرة القيمة . والمؤلف ينقل الاحصاءات فى الاقطار الاجنبية للمقابلة . مثال ذلك أن وفيات الرضع كانت عندنا سنة ١٩٢٦ تبلغ ١٤٦ فى الالف من المواليد فى حين هي كانت فى هولندا ٥٩ وفى سويسرا ٦١ وفى انجلترا وويلس ٧٣ وفى الولايات

المتحدة ٧٤ . وكانت أقل السنين وفيات عندنا فى الرضع (ممن أعمارهن سنة أواقل) سنة ١٩١٩ أذ نزل الرقم الي ١٢٨ فى الالف من المواليد . وهذه السنة هى التى ارتفعت فيها أجور العمال . .

وهذا الكتاب هو فتح جديد فى عالم التفكير فى مصر .

اساطين العلم الحديث

تأليف فؤاد صروف محرر المقتطف صفحاته ٢٧٧ من قطع هذه المجلة طبع بمطبعة المقتطف بمصر

قال المؤلف فى مقدمة كتابه هذا :

« وقد عنيت من بضع سنوات بجمع ماتيسر جمعه من سير اعلام العلماء ، توطئة لكتابة فصول تجمع بين لذة الرواية من ناحية ، وحقائق العلم مفرغة فى قالب السيرة من ناحية أخرى . فوقعت لى كتب طالعت معظمها غير مرة ، لما وجدته فى فصولها من تشويق ، ولانى كنت أرغب فى اقتفاء أثرها فى وضع الفصول العربية . ونشرت بعض هذه الفصول فى أعداد متفرقة من المقتطف وكان بعضها ملخصا من كتاب أو أكثر . ثم لما صحت العزيمة على أصدار هذا الكتاب جمعت هذه الفصول وأضفت اليها فصولا حديثة لم تنشر قبل (هى فصول كوبرنيكوس وملسول ودلتن وأفوغادرو ورذرفورد وريط وبيرد وجانب كبير من فصول غليليو ونيوتن ودايفى وفراداي وهرشل) وجعلتها فى أربعة أبواب

« فالباب الاول يشتمل على طائفة من أكبر علماء الفلك الحديث وهم كوبرنيكوس وكبلر وغليليو ونيوتن وهرشل وايشتين

« والباب الثانى يشتمل علي طائفة من أشهر المكتشفين فى ميداني الطبيعة والكيمياء وهم بريستلى ولافوازييه ودايفى ووهلر وفراداى ومكسول وميكلصن ولنغميور

« والباب الثالث أفردته لأهم الباحثين فى الذرة وتركيبها وهم دتن وافوغادرو ومندليف وكورى وطمسن وموزلى ورذرفورد . فعلماء هذه الابواب الثلاثة اشتغلوا بكشف أسرار الفلك والكيمياء والطبيعة ، وجميعهم من أرباب العلم النظرى ، ولكن معظم المخترعات الحديثة بنيت على مكتشفاتهم النظرية . لذلك جعلت الباب الرابع شاملا لسير ثمانية من الاعلام ، فى عملهم ناحية من تطبيق العلم على العمل ، وهم أربعة أطباء — رس وبانتنغ ومينو وفاغنر يورج ، وأربعة مخترعين وهم اديصن ومركوني وريط وبيرد

أما الفصل الاخير فهو سيرة السر أوليفر لدج ، الذى بدأ حياته عالما من الطبقة الاولى، وانتهى عن طريق بحثه فى الاثير الي الايمان ببقاء الشخصية بعد الموت فبحثه فى الاثير كان الجسر الذى عبر عليه من الطبيعة الى ماورائها ، ولعل رأيه فى الاثير والعقل وبقاء الشخصية خير فصل يختم به الكتاب ».

وهذا الكتاب يتسق والكتب السابقة التى أهديت الى قراء المقتطف مثل « أعلام المقتطف » و « الرواد » و « رجال المال والاعمال ». وليست هذه التراجم جافة كما توهم الاعمال والمهمات التى قاموا بها . فان الاستاذ فؤاد صروف يسير فيها بأسلوب القصة الذى يستهوى القارىء . وانه لما يسر الانسان أن يجد مثل هذا الكتاب فى هذا العصر الذى كاد ينسى فيه الناس فى مصر أن القراءة لا تنحصر فى المجلات الاسبوعية والتسلية بالاكاذيب والحقائق والخيالات عن السياسيين والاعيان . فان بلادنا فى حمى قد شملتها ودفعتها الى ايثار السخف على الجد . ولكن مثل هذا الكتاب يفتح للعقول المسلوبة بابا بريئا للتسلية المفيدة

خيوط العنكبوت

تأليف ابراهيم عبد القادر المازني صفحاته ٤٥٦ من القطع المتوسط طبع بمطبعة الحلبي

للاستاذ المازني أسلوب يروق القارىء لولا ما فيه من اسهاب جاحظي . ولكن هذا الاسهاب لا يسئم لانه أقرب الى الاغراء أو الاقناع منه الى الاسئام . كما هى الحال أيضا فى الجاحظ. وللمازني فكاهة بلدية يسيغها القارىء لانها تعبر عن النكتة المألوفة فى كلام عربى فصيح . وهذا الكتاب هو مجموعة قصص أو صور فكاهية أو تأملات تكاد تكون فلسفية لولا روح المرح الذى يسودها وينافى وقار الفلسفة . واليك ما يقوله مثلا تحت عنوان « ليلة سوداء »

هل للموت جلال ؟ وهل للمقابر حرمة ؟

لا أدرى ! وانما الذي أدريه انى كنت أفكر فى هذا وما هو منه بسبيل — أو اسأل نفسى عنه — فى ليلة سوداء — أعنى حالكة الظلمة — لا قمر فيها ولا نجم ولا شيء إلا عتمة سميكة ، وكنت قد تناولت عصاى وقلت أخرج من ضيق البيت الى الفضاء الطليق لعل المشى يحط عن صدرى ما يجثم عليه من شعور ضاغط . وكان الجو راكدا ، وكنت لهذا ومن فرط الانقباض — أحس كأن أصابع ضخمة — الا أنها معروفة — تأخذ بمخنقى ، فكنت أفهق . أفتح فمي وأدفع رأسى الى الوراء وأرفع صدرى — كالذى أشفى على الغرق ، فليس الماء وحده كل ما يخنق .

وكنت أقول لنفسى وأنا أدير عينى فى كثافة الليل وأردها الى ظلمه النفس « أنها ليلةسوداء حقا! أين ترى غابت نجوم السماء ؟ ؟ ويا لها من لعنة حارة أسن لها الهواء وعاد أوبل من مستنقع ؟ »

وتذكرت قول ابن الرومي المسكين وهو معصوب العينين .

أرعى النجوم – وأني لى برعيتها وطرف عينى فى أسر وتقييد ؟

وان من يتمنى ان يؤاتيـه رعى النجوم لمجهود المجاهيـد ؟

صدق والله ! وانه لمسكين مسكين ، واني لمثله ، أو شر منه

ولـكن « المسكنة » ثقلت على نفسى ولم أرضها لها ، فضربت الارض بالعصا وقلت بصوت عال « مسكين ؟ لماذا ؟ ؟ هب القمر كأوضأ ما يكون ، والنجوم الخفاقة اللمعان تتلامح وتزين هذه القبة الزرقاء ، والنسيم كأرق ما يعهد فماذا كنت حقيقا ان أفوز مما حرمت متعته الآن ؟ هذه السماء من فوق بآفاقها جميعا أهى سوى « جمجمة » — كما يصفها العقاد فى بعض أراجيزه ؟ »

وراقنى أن السماء « جمجمة » وحمدت للعقاد هذا الوصف الذى واءم مزاجي فى هذه الليلة السوداء ، وما يدرينى ويدريه ؟ ألعل كريتنا الارضية كلها مدفونة فى هذا الـكون ولعلنا نحن الذين يسمون أنفسهم « بنى آدم » لسنا سوى ديدان وحشرات ترتع فى جوف هذا القبر الهائل ونحن لا ندرى ، ولعل من الالهام ان تكون نفس العقاد قد اسودت مرة فقال ان السماء جمجمة وفتح بذلك الطريق الى معرفة النفس – معرفتنا نفوسنا على حقيقتها الدودية !

ومال بى هذا الاسلوب من التفكير الى الطريق المفضى الى القبور — ولم أكن أرى مواضع خطوى — وانى لى برؤيتها فى هذا الظلام المتراكب ؟ — ولـكن المرء يرى أحيانا بقدميه ، ويهتدى برجليه ولا يحتاج الي عينيه وما أكثر مارأى الانسان بعينيه ؟ صحيح انهما أداة نظر، ولكنه نظر قصير ، وبغيرهما يكون النظر البعيد — النافذ ، والاهتداء والوقوع . . . على . . على ماذا ؟ كدت أقول الحقائق . . ولـكن رجلي اصطدمت بحجارة قبر من آلاف القبور المنتثرة فى هذه الصحراء .

حديث الأدب والأدباء

القومية العربية

للاستاذ ابراهيم عبد القادر المازني في الرسالة

كثيرا ما يسألنى الشبان الذين لم يشهدوا الثورة المصرية — لأنهم كانوا أطفالا — « هل كانت حقيقة رائعة ؟ »

فأقول . « لقد بلغت غاية الروعة — فى حدودها — ولم يكن فى الوسع أن تكون فوق ما كانت ، ولكنها فشلت — مع الاسف — لأنا أحطنا قوميتنا بمثل سور الصين »

ذلك أنى أومن بما أسميه « القومية العربية » وأعتقد أن من خطل السياسة وضلال الرأى أن تنفرد كل واحدة من الامم العربية بسعيها غيرعابئة بشقيقاتها ، أو ناظرة اليها ، ويحنقنى ويستفزنى أن أرى أحدا ينظر الى مصر كأنها من أوربا وليست من الشرق . وعندى أن الجنسية الشرقية هى أساس حياتنا وتاريخنا ، وأن هذه النظرة تفسد مزايانا الشرقية — إذا لم تفقدنا اياها — ولا تكسبنا مزية من مزايا الغرب ، والعلم ينقل ، وقد نقل من الشرق الى الغرب ، ومن اليسير أن ينقل من الغرب الى الشرق من غير أن يحاول الشرق أن يغير جلده أو يخسر خصائصه

وقد اعترض على شاب — ذات مرة — ونحن فى حديث كهذا ، فقال . « وما الرأى فى القومية ؟ أليست حقيقة تاريخية تفرق بين هذه الشعوب والامم التى تريد أن تجمعها وتربطها برباط واحد ؟ »

فقلت له . إن هذه القوميات العنيفة الضيقة الحدود ، حديثة من الوجهة التاريخية ، وهي — بحدتها الحاضرة — بنت العصر الحديث ، أو اذا شئت ، فقل انها وليدة الحرب العظمى ، وان كان صحيحا انها سبقت الحرب بنصف قرن تقريبا ، بل إن فكرة الامبراطورية البريطانية نفسها ليست إلا بنت القرن العشرين . ولعل أكبر مسئول عن بث هذه الفكرة هو الشاعر كبلنج ما علينا من هذا ، ولنرجع الى حديث الشرق . لقد كانت هناك وحدة وثقافة اسلاميتان دان لهما الشرق أو مايعنينا منه وظلت هذه الوحدة قائمة علي الرغم من انحطاط الثقافة ، ولم يمنعها أن تظل قائمة أن ثورات شبت ، وحروبا استعرت فان هذه أشبه بالفتن الداخلية والحروب الاهلية ، وقد كان العلماء والادبا والفقهاء يرحلون من بلد الي بلد ، ولا يحسون أنهم تركوا أوطانهم وتغربوا ولايشعرون أنهم اجتازوا حدودا ، وتخطوا تخوما ، تفصل بين أقطار ، وتعزل أمة عن أمة .

ولا يزال الحال كذلك ، ولو جبتم هذا الشرق لما شعرتم أنكم فى غير مصر — إلا من حيث التقدم المادى — وكانت اللغة العربية هي اللسان الذي لايحتاجون الى اتخاذ غيره فى حينما يكونون من هذا الشرق العظيم الذى تقسمونه اليوم أمما وشعوبا وتقولون هذا مصرى وذاك فلسطينى أو شامى أو حجازى . وعلى أن القومية هي اللغة لاسواها . ولتكن طبيعة البلاد ما يشاء الله أن تكون ولتكن الاصول البعيدة المتغلغلة فى القدم ما شاءت ، فما دام أن أقواما لهم لغة واحدة فهم شعب واحد . ذلك ان الانسان لايستطيع أن يفكر — الى الآن على الاقل — إلا بالالفاظ . هى وحدها اداة التفكير ، فلا سبيل اليه بدونها ، ومن المستحيل — الآن — أن نتمثل معنى مجردا عن الفاظ تعينه . ولكل لغة أساليبها وطرائقها ، فأساليب التفكير وطريقة التصور خاضعة للاساليب التى يتألف على مقتضاها الكلام فى اللغات المختلفة ومن هنا يتفق ويتشابه أبناء كل لغة أخرى ، وهذا فرق ما بين الانكليزى والفرنسى ، وما بين الانكليزى والهندى ، وهذه فيما أظن حقيقة علمية ، ومتى كان الامر كذلك فكيف نكون إلا عربا كالعراقيين ، والسوريين ، والفلسطينيين ، والحجازيين واليمانيين ، مع اختلاف يسير تحدثه طبائع هذه البلاد ؟ »

فعاد الشاب يسألنى . « وأصلنا المصرى ؟ وتاريخ الفراعنة ومدنيتهم ؟ »

فقلت له . أكرم بهذا من أصل . وإنها لمدنية باهرة تلك التى كانت للفراعنة ، وإن العالم كله لمدين بأكثر مما يعرف لهذه الحضارة القديمة ، ولكنها بادت واندثرت ، ولم يبق منها إلا الاثر المدفون فى التراب ، والذى لايمكن أن يؤثر فى حياتنا الحاضرة إلا من طريق واحد هو إشعارنا العزة ، وحثنا على استحقاق هذا الميراث الجليل ، كما يكون الاب كريما فيخجل الابن أن يكون كزا لئيما وأن يفعل ما ينافى كرم آبائه وطيب أرومتهم ، ولكن المدنية العربية ـ أو قل الاسلامية إذا شئت ـ لم تفن ، ولم تبد ، ولم تندثر ، ولم تفقد إلا القوة ومظاهر السلطان ، وهذه تكتسب وتستفاد ، ولكنها فيما عدا ذلك ، بقيت حية ، وأبقى ما بقى منها لغتها بكنوزها المختلفة ، فهى — أى المدنية العربية — عامل مؤثر بوجوده ـ لا بذكراه كالعامل الفرعوني . ومن الممكن هدم هذه الحواجز المفتعلة التى يقيمها الغرب ويرفع منها سدودا بيننا وبين أخواننا »

المتنبى

من مقال للاستاذ فؤاد أفرام البستاني فى الحديث

كان من نصيب المتنبى ان يبنى أدبه العالى على اس القوة . وهو اس ثابت ، فثبت بناه على القدرة الفكرية . وأخرجه فى القوة التعبيرية . فراع الناس بهذا البناء الشامخ وأعجبهم بما فيه من الفة بين المعني والمبنى . والمعنى والمبنى لا ينفصلان فى الحقيقة فلا يقوم معنى جليل فى مبنى ضئيل كما انه لا يعيش المبنى المتين على المعنى الضعيف المبتذل واذا عاش فالى حين . ولا يدوم الأثر الادبى الا اذا

كان مبنيا ذا وحدة متينة وسواء أكانت هذه الوحدة فى الاثر كله أم فى بعض مقاطعه فان الخلود يلتحق بالمظهر المتوحد ولو كان بيتا مفردا وهو مانراه فى بناء المتنبي فان من عوامل تأثيره انفراد أبياته الحكمية وسيرها قطعا مسكوكة تتداولها الذاكرات ويصقلها الاستشهاد فاذا هي على كل لسان منذ الف سنة يحفظها العالم والجاهل ويوردها المثقف والامي .

على ان هذا البناء العظيم لايقيمه المتنبي حجارة دكناء لا لون فيها ولاحياة على نحو مانعرف في كثير من النظم الحكمى . انما هي صورشعرية رائعة كانت جديدة فى عصرها فاثرت فى السامعين وتتابع أثرها متغلغلا الى شعراء اليوم مي مشاهدة نحمه حتى فى دقائقها منها مامر عليه الزمان فمحاه كشهد النياق الباركة على جفن الشاعر واقتباساته النحوية واللغوية ومنها مالايزال فى مقدمه المثل الشعرية يستفيد منه الكثيرون كوقفة سيف الدولة فى الحرب :

وقفت وما فى الموت شك لواقف كأنك فى جفن الردى وهو نائم
تمر بك الابطال كلمى هزيمة ووجهك وضاح وثغرك باسم

ومثلها كثيرا وأغلبها فى تصوير المعارك مما يتناسب وفطرة المتنبي القوية . تحفة موسيقى شديدة الوقع اثرت دون شك فى سير هذا الشعر لانها عملت مع ماتقدم ذكره من العناصر على رفع السامع الى جو خاص من العظمة تكتنفه الجلبة ويسوده شيء من الفوضى الفخمة تسوقها القوة فى التمثيل والايحاء فتضيع فيه هنات التعبير ونشدات المبالغة اذ تتناسب مقاطعها وتتقلم اطرافها اذا صح التعبير فيقيسها السامع بمقياس تأثيره وانفعاله .حتى إذا هبط به الناقد لملى سكينة العلم أطلعه على الكثير من مزالق الجرأة ونزوات الخيال . على ان هذه الهفوات نفسها كانت من أسباب شهرة المتنبي أيضا إذا اعتبرنا ذوق ذلك العصر وما كانت توفر من مناظرات لارباب النحو واللغة والشراح يقضون بها أيامهم فيسعون هم ايضا فى مد شهرة الشاعر وبسط نفوذه حتى ان الواحدى جعل من أسباب فضل المتنبي « خفاء معانيه وكثرة مايحتمل كلامه من وجوه التفسير وضروب التأويل »

فلا عجب وهذه شخصية المتنبي ان يؤثر ذلك الاثر البليغ فى الشعر والشعراء فيقلده المداحون وينظر اليه نظامو الحكم فى جميع اقطار العربية من فارس الي الاندلس النذ عصرة الى أيامنا الافترات فى عصر الانحطاط قصر فيها المقلدون حتى عن النظر اليه فاخرجوه من بين الشعراء وكأنهم نزعوا من أمامهم الهدف الصعب المنال

أجل لاعجب أن نرى أثر المتنبي يطوى القرون حتى يصل الى القرن التاسع عشر بل الى القرن العشرين فنسمع صدى نبراته القوية فى شعر الشيخ ناصيف اليازرجي ومحمود سامي البارودى بل فى بعض شعر أحمد شوقى

ولا يسعنا الآن وقد أدركنا ختام هذا البحث إلا أن نتساءل هل أفاد هذا الأثر ادبنا العربي أم لا

مما لاشك فيه أن المتنبى رفع مستوى الشعر العربى، فبرز فيه الى المثال الاعلي الذى يقتدى به فى جميع فنونه ، فكان من حسن أثره أن الشعراء فى سيرهم على طريقه كادوا ينصرفون عن تلك الاستهلالات الغزلية البالية فى قصائد المدح

قلنا . كادوا لان الداء أعدى من الصحة وفساد الذوق أبلغ أثراً من حسنه وكذلك يمكننا القول أن المتنبي أفاد نوعا فى ادخال شيء من الشعر فى تلك المنظومات الحكميه الجافة وان كان لم يقو على تغيير نوع زائف بخروجه عن الطبيعة

ويجب القول أيضا انه سما بالتعبير الشعرى فاضحي الشعراء بعده يتطلبون السمو والفخامة ، وجمال السبك ، وقوة الوقع

على أن شخصية المتنبى البارزة ملكت على مقلديه مشاعرهم فغدا ذلك المثال العالى فى عصره المثال الاعلى لكل العصور والأزمنة لافى الشعور والاخراج فقط بل فى معرض الفنون الشعرية نفسها ، فانصرفوا يجدون وراءه فى أى عصر كانوا وفاتهم أن لكل عصر زياً فى الادب ومثالا للشعر كما أن لكل عصر فنونا قد لاتكون في العصر السابق أو اللاحق وفاتهم أن من قلد شاعراً بتقيد ورهبة واحترام أقر ضمنا بتفوقه عليه فى كل شيء فقصر عنه فى كل شيء

لقد قلد المتنبى أبا تمام والبحترى ولكنه فاقهما لانه عرف كيف يجعل شعره صورة كيانه المختلفة عن حياتهما

أما شعراء العرب منذ عصر المتنبي فلم يتصوروا اختلافا فى حياتهم عن حياته وبالتالى فاتهم لم يتوهموا فنونا غير الفنون التى طرقها . حتى افقنا اليوم وليس فى تراثنا الشعري إلا قصائد المدح والرثاء والهجاء والمفاخر والحكم ، وليس اللوم فى ذلك على المتنبي إنما اللوم على ضعف مقلديه ، وعلي ما كان فى محيطهم الادبى من جمود وجفاف

ان الشاعر أياً كان ومهما سما لايصلح مثالا أعلى لكل زمان ومكان . هو يمثل أعلي ماوصل اليه فنه فى عصره فيصبح مثالا يقتدى به ولا يقلد بل غذاء يستفاد منه فى تنمية الثقافة العامة كما أن الانسان إذا ماتناول طعاما يكون قصده تحويل الطعام إلى مايصلح لغذائه لا تحويل نفسه الى ذلك الطعام . كذلك على كل من يقتدي بشاعر أن يستمد منه غذاء شخصيته الادبية . لا أن يحول شخصيته الي صورة ناقصة لذلك الشاعر . هكذا يتقدم الشاعر . وهكذا تبرز الشخصيات الشعرية دون أن تنقطع الصلة بين الماضى والحاضر